وليم شكسبير

جامعة الدول العربية

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – القاهرة

عطيـــل

ترجمة:

خليل مطران

الطبعة الثامنة

دار المعارف

الناشر: دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج. م. ع.

مقدمة

رغب إلى جورج أفندى أبيض صاحب الفرقة المعروفة الآن باسمه، فى ترجمة هذه القصة، فترددت زمنًا، ثم أتيح لى أن رأيته يمثل تجربة من "أديب" فأعجبنى إتقانه وإتقان بعض أعوانه، واستخرت الله فى نقل عطيل إلى لغتنا الشريفة.

فلأذكر أولاً ما دعانى إلى اختيار اسم عطيل ردًا على بعض المعترضين.

كان عطيل فى زعم القصاص الذى نقل عنه شكسبير أصل هذه الحكاية، يدويًا مغربيًا جلا إلى البندقية وخدم فى جيشها حتى أصبح قائده الأكبر، وعقيده فى الملمات. والمغاربة يومئذ خليط من العرب والبربر المستعربة. فأما أن يكون قد دعى منذ مولده باسم إفرنجى فغير محتمل، وأما أن يكون قد دعى باسم عربى حرفته العجمة، فهو الأصح عقلاً. فإذا رددنا أو تلو إلى لسانه الأصلى، فالذى يستخرج من حروفه أحد اثنين: عطاء الله أو عطيل. فأما عطاء الله فلم أتوصل إلى تحقيق أن مغربيًا واحدًا سمى به ولهذا ضربت عنه صفحًا، وأما عطيل فقد اعتقد أنه الأخلق بالاختيار لسببين: أحدهما أنه أشبه بما جرت به عادة العرب على تسمية الزنوج به من ألفاظ التحبب أمثال مسعود ومسرور وزيتون ومرجان للذكور، وخيزران وضياء للجوارى، ومعلوم أن عطيلاً تصغير تحبب لصفة عطل بمعنى عاطل أو خلو من الحلية، فتسمية أحد الزنوج به إنما هى محاكاة صحيحة لاصطلاح العرب. وثانيهما لأن "عطيل" بضم أوله ورفع آخره مع تخفيف التنوين أقرب إلى أوتلو من كل اسم سواه.

بقى فى هذا الصدد أن أقول مرورًا للذين تمنوا لو أبقيت اسم أوتلو كما أورد المؤلف، إننى لم أوافقهم على هذا لأننى كرهت أن أثبت فى العربية اسمًا من أسمائها على الرطانة التى حرفته إليها العجمة لغير ما سبب سوى الشهرة التى اكتسبها على تلك الصورة، فى حين أنه لا يتعذر إكسابه مثلها وهو مردود إلى أصله التقديرى أو التحقيقى من غير أن نسوم مسامعنا جراحة تحريفه. ذلك ما أوحى إلى اليقين أنه خير أولى.

بعد هذا التفسير الذى تقاضتنى إياه بعض الصحف، ونفرٌ من الأصدقاء، أرجع إلى الرواية، ولى فيها مبحثان موجزان، من وجهة الأصل، ومن جهة التعريب.

***

أما من جهة الأصل فأقول إن واضع هذه القصة إنما هو نابغة الأدهار فى فنه وأعنى به شكسبير. وضعها لإظهار الغيرة وتأثيرها فى الرجل بأقوى وأصدق ما دل عليه الاختبار من أمرها، ولذلك اختار عاشقًا إفريقياً بدوى الفطرة، ليكون وثاب الشعور عنيفه، عسكرى المهنة، ليكون سريع التصديق والانخداع؛ مكتهلاً أى فى أول الانحدار من سن الأربعين، ليكون أشد فى التعشق كما هى شيمة أمثاله ممن يسطو عليهم الحب بعد انقضاء الشباب، وليكون أيضًا فى الحالة التى يتهم فيها

الإنسان نفسه بفقدان أكثر الحلال التى يقتضيها الغرام ولا سيما حينما يكون المستهام أسود البشرة من أحلاس الحروب، والمستهام بها بيضاء منعمة من قوم فسدة الأخلاق مترفين.

ذلك هو الغرض الأساسى العام الذى رمى إليه شكسبير فأصاب به دقائق الحقائق إصابة كانت فى جملة ما حمل أكابر المفكرين وأعاظم الكتبة على الشهادة له بأنه أخبر خبير بخفايا القلوب، وأمهر كشاف لخباياها.

ثم إنه أدار حول هذا المحور غرضين ثانيين: أحدهما إثبات أن العفة لا تنتفى من مدينة مهما فسقت بل قد تزداد تمكنًا من نفس المرأة المتحصنة بمقدار ما تندر العفة بين جيرتها وفى عشيرتها، والثانى تبيين الاحتيال ونهاية ما يبلغه من نفس رجل ذكى مطماع خسيس أصم الضمير، مستبيح كل محرم، مستهين كل منكر فى سبيل غايته.

كيف صرف شكسبير قريحته العجيبة فى ألوف الجزئيات التى تؤدى إلى تصوير الغرض الكلى والغرضين الملحقين به؟ ذلك ما يقف عليه القارئ أول وهلة من مطالعته للقصة فإنه يشعر قليلاً أن الأسماء تمحى ويستبدل بها أشخاص مقومون فى أصلح تقويم لكل منهم. ويدخل متدرجًا من الوهم فى الحقيقة فيرى وهو يسمع ويسمع وهو شاهد مشاهد مما ألفه فى الحياة لا يرده إلى كونه قارئًا سوى انتهائه إلى دفة الكتاب.

ومن جهة هذا التصوير الأخاذ الذى يصور به شكسبير الحقيقة رأى بعض جهابذة النقاد أن ذلك الأستاذ العظيم يبالغ فيه مبالغة قد يجاوز معها الحدود التى يرسمها الفن. صدقوا ولكن هل كانت عبقرية هذا الرجل لتحد بحدود، وهل مثل العقل الذى رزقه كان مما يقيد بقيود؟

الشاعر الذى افتتن "فكتور هوجو" بغرابة شعره، ووجد عند فراسته وطلاقته وقوة تمثيله للمعنويات بالحسيات. مبدأ المذهب الحر الذى ذهب إليه فيما بعد هو وأضرابه وأصبح سنة الكتاب فى العالمين.

الكاتب المنقب المتعمق فى مظاهر الخلائق ومضمراتها مع قدرة على المحاكاة ومهارة فى الاختيار وبراعة فى التأليف وسلطة على اللفظ يستدنى به أبعد المعانى ويقيد أوابد الوجدانات، الذى أعجب به المؤرخ الفيلسوف "تاين" وناهيك بألوف المعجبين غيره من قبله ومن بعده.

الأديب الذى تترجم مكتوباته على وفرتها إلى كل لغات الدنيا، وفى بعض اللغات كالفرنسوية تكثر تلك الترجمات وتتنوع ويجيز أحاسنها المجمع الأدبى الأكبر كما أجيزت ترجمة "مونتيجو" و "ليتورنور" وغيرهما فتطلع الأمم المختلفة الألسنة والأجناس والأذواق والملل والنحل على مكتوباته سواء فى أصلها أو فى غير أصلها، وتقرها فى أعلى منزلة عندها لجمعها المذهب والمطرب إلى المفكه والمفيد والمبكى والمضحك إلى الزاجر والمؤنس.

أهذا الذى يطلب منه أن يكون أسير اصطلاح وعبد لفظ ورقيق أوضاع سبق الاتفاق عليها.

خرج شكسبير عن ذلك الطوق ونعمًا فعل. ولو أبقاه فى عنقه لما اشرأب صعدًا إلى مناجاة أجرام السماء، ولا أطاق الإكباب إلى أبعد أغوار الأسرار فى الطبائع البشرية.

من ذلك المنجم العظيم نجمت "عطيل" وهى إحدى آيات مستخرجاته، ولما كانت أعهده فيها من نادر المزايا وجدت من كلفى بها معوانًا على معاناة تعريبها.

****

فأما من جهة التعريب فأقول إن فى نفس شكسبير شيئًا عربيًا بلا منازعة وهو أبين فيها مما بان فى نفس فكتور هوجو. أقرأ لغتنا أم نقلت إليه عنها بعض المترجمات الصحيحة؟ لا أعلم. ولكن بينه وبيننا من وجوه متعددة مشاكله محيرة، فإن عنده مثل ما عندنا جرأة على الاستعارة وذهابًا بضروبها فى كل مذهب، وله مثل ما لنا كلف بالتنقل الوثبى من غير تمهيد ولا استئذان يدفعك من القصد إلى القصد وشيكًا وعليك أن تتمهل فى فكرك وتجد الرابطة، وبه مثل ما بنا من الهيام فى المبالغة التى لا يقبلها من الكاتبين ولا يعقلها من القارئين إلا الذين فى تصورهم حدة وجماح كما يكون عادة عن الشرقيين وخصوصًا عند العرب. وعلى الجملة ففى كل ما يكتبه شكسبير شىء من روح البداوة قوامه الرجوع الدائم إلى الفطرة الحرة.

تناولت الرواية لأعربها وكأننى أنوى ردها إلى أصلها كما رددت اسم عطيل، وقبل أن أشرع فيها تفكرت فى الأسلوب الذى أختاره لها.

أهو ذلك الأسلوب المخرق الذى تشف الفصاحة فيه عن رقع العامية؟ لا وألفًا لا.

فتالله لو ملكت تلك العامية لقتلتها بلا أسف ولم أكن بقتلى إياها إلا منتقمًا لمجد فوق كل مجد، نزلت من هيكله الذهبى الخالص الرنان منزلة الرجلين الخزفيتين القذرتين فهو فوقهما متداع وبهما مشوه؛ منتقمًا لأمة كسرت العامية وحدتها وكانت عليها أكبر معوان للتصاريف التى مزقتها فى الشرق والغرب كل ممزق؛ منتقمًا للفصاحة نفسها وأية فصاحة فى خُشَارة لا تصيب فيها تبر الأصل إلا وقد تلوث بذريرات لا تحصى من أوضار الرطانات بأنواعها.

بعدًا لهذا الأسلوب إذن! ولنختر غيره... أتؤثر الأسلوب الجزل المتين القديم؟

لا ولا! لأن الروايات إنما تكتب ليفهمها القوم ويستفيدوا منها مغزى بجانب التفكهه. أفنعكس عليهم تلك السنة الشريفة التى سنها النبى القرشى بقوله: أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم.

بعد هذا وذاك لم يبق إلا أسلوب الوسط وهو الذى تكون بمقتضاه الألفاظ كلها فصيحة لكن سهلة، وتفكك الجمل تفكيكًا يقرب مدلولاتها من الأفهام بمحاكاته لفنون المحادثات المستجدة من غير أن يفوتنا الالتفات فى ذلك التفكيك إلى أشتات ما صنع أدباء العرب من مثله لدواعى حال مخصوصة وإن لم يألفه جمهور الكتاب الاحتفاليين.

هذا هو الأسلوب الذى آثرته وأرجو أن أكون قد وفقت فيه بعض التوفيق، فتجتمع معه لهذه القصة مزيتان: إحداهما أنها تكون عربية فصيحة لولا الأعلام ولولا تشقيق الكلم على ترتيب المخاطبة بين الفرنجة قديمًا وحديثًا، والثانية أنها تمثل أقوال شكسبير حرفًا بحرف ولفظة بلفظة مع مراعاة انطباق كل منها على الاصطلاح الدينى أو الاجتماعى الذى لها عند القوم الممثلين فيصح أن تكون هذه التجربة مثالاً للتعريب يحتذيه طلبة المدارس.

خليل مطران

أشخاص الرواية

دوج البندقة :

برابنسيو : أحد أعيان

: أعيان آخرون

غراتيانو : أخو برابنسيو

عطيل : مغربى شريف قائد جيوش فى خدمة البندقية

كاسيو : ملازمه

ياجو : حامل علمه

ردريجو : وجيه بندقى

منتانو : سالف عطيل فى ولاية قبرس

مضحك وخادم لعطيل

مناد

ديدمونه : بنت برابنسيو قرنية عطيل

إميليا : زوجة ياجو

بينكا : خليلة كاسيو

ضابط ووجهاء ورسل وموسيقيون وملاحون وخدم إلخ

المشهد الأول يجرى فى البندقية وسائر المشاهد فى مرفأ من مرافئ قبرس

الفصل الأول

المشهد الأول

فى البندقية – طريق

[يدخل ردريجو وياجو]

ردريجو : كفى كفى. لا تخاطبنى عنه بعد الآن. أنا آسف جدًا لأنك تتسمت خير هذه المسألة يا ياجو.. وأنت أنت الذى بددت ما شئته من مالى وصرفت يديك فى نقودى كأنها من حر مالك.

ياجو : العجب أنك لا تريد أن تصغى إلى كلامى ولعمرى ولو أننى فكرت مرة فى خديعتك لكان لك أن تمقتنى كل المقت.

ردريجو : قلت لى إن حانق على هذا الرجل.

ياجو : إذا لم يكن ذلك حقًا فلا كانت لى كرامة عندك. ثلاثة من كبراء المدينة سعوا وتوسلوا إليه ليجعلنى ملازمًا له. وبحق الرجولة أننى لأعرف قيمة نفسى وأعرف أننى كفء لتلك المنزلة. أما هو فإن لم يصغ إلا إلى مشورة كبريائه وإيعاز ما سبق إلى وهمه فتخلص من إجابة سؤلى بعبارات منفوخة مشحونة بالألفاظ الحربية ختمها بقوله للموصين بى: "لقد اخترت ملازمى". ومن هو ذلك الضابط؟ الله الله... هو حساب ماهر... يدعى ميشيل كاسيو... رجل فيورنتى.. فتى ذهبت بلبه النساء الحسان ولم يسير قط كتيبه فى معترك ولا يعرف من تدبير واقعة أكثر مما تعرف الفتاة العانس [1] اللهم إلا من جهة العلم النظرى المستظهر من الكتب وهو علم يحسنه القساوسة كإحسانه إياه فجملة معرفته العسكرية ثرثرة محض بلا عمل. ذلك يا سيدى هو الذى وقع عليه اختيار القائد بصرف النظر عما أبليته أنا من البلاء الحسن فى رودس وفى قبرس وفى أمصار أخرى مسيحية ووثنية.. يسومنى [2] قبيح الصبر على هذا التأخير ويقدم على من فوق رأسى ذلك المدون الرقّام الكاتب الصيرفى يتخذه ملازمًا له وأنا – حمدًا لله

---

(١) التى كبرت ولم تتزوج.

(٢) يكلفنى

وسرورًا بهذا اللقب – أبقى حامل علم لسيادته المغربية.

ردريجو : تالله لو كنت مكانك لأصبحت جلا دة

ياجو : داء لا دواء لـه وهو من آفات الخدمة. الرقى ينال بالوصاة والصداقة لا بالسبق الزمنى الذى كان ينبغى بمقتضاه أن يجعل كل ثان خلفًا للأول.. بعد هذا يا سيدى أعمل رأيك فيما إذاً كان يسعنى أن أحب ذلك المغربى.

ردريجو : لو نالنى منه ما نالك لما تبعته

ياجو : حلمًا يا سيدى وهدوء بال. إنما أتبعه لأنتقم منه.

لا نستطيع جميعنا أن نكون سادة ولا طاقة لجميع السادة أن يجدوا خدمًا أمناء.. إنك لتلفى [1] بين أولئك الخدم غير واحد من البله الخانعين ذوى الركب اللينة يعجبهم رقهم الثقيل فسيفنون أعمارهم على شاكلة الحمير التى ترهق [2] بالأحمال حتى إذا بلغوا من السن عتيًا طردوا بضرب السياط طرد المجرمين. غير أنه يوجد أيضًا بين الخدم أناس غير أولئك يظهرون بكل مظاهر الطاعة ويستعبرون كل أشكال الرعاية لكنهم يصونون ضمائرهم لخدمة أنفسهم، ومع ما يبدونه من الامتثال لولاتهم يوجهون مساعينهم لقضاء مآربهم حتى إذا وشوا ملابسهم بالذهب حبسوا تكرماتهم على ما اكتسبوه من رفعة القدر. أمثال هؤلاء لهم بعض النفوس وأجهر أننى واحد منهم. بل أزيدك يا سيدى تصريحًا عن حقيقة لا تقل عن حقيقة كونك ردريجو وهى أننى لو كنت المغربى ما أردت أن أكون ياجو فإذا اتبعته فإنما إياى أتبع ويشهد الله أننى لا أوقره ولا أطيعه غير أننى أداجيه بالتوقير والطاعة توسلاً بهما إلى أغراضى، هذه خطتى وهى الكتمان؛ فإذا جاء زمان باح فيه ظاهرى للرجل ببعض ما فى باطنى لم ألبث أن أضع قلبى على ردن قميصى لتنقره الحدآت [3] الخواطف. أنا غير ما يرى منى

ردريجو : إننى لأستعظم على ذلك الأسود الوبرى ما يقع إليه من السعد الذى لا يدانيه سعد فيما لو حصل على تلك الغانية أو حظى بقربها.

ياجو : ناد أباها.. أيقظه من نومه.. ناوئ ذلك المغربى.. دس السم فى هناءته.. اجهر باسمه فى الأسواق.. استشط على الفتاة أهلها.. ثم أيًا كان المرتع

---

(١) تجد.

(٢) تحمل فوق طاقتها.

(٣) الطيور المعرفة عند العامة بالحدايات.

الخصيب الذى يحله ذلك الرجل فاقتله بذبابة ومهما تكن سعادته هى السعادة بحقيقتها فأدركه بالوخز والمضايقة حتى يمتقع [١] فى عينيه لونها الزاهى ولو قليلاً.

ردريجو : هذا بيت أبيها. سأناديه صادعًا [٢]

ياجو : افعل واجعل نداءك رهيبًا مستطيلاً مع حزن كما يكون فى ظلام الليل وأمن الراقدين صوت الذى يستكشف النار فى مدينة كثيرة الأهلين.

ردريجو : يا هو. يا من هنا. برابنسيو. سنيور برابنسيو.

ياجو : استيقظ. يا هو. برابنسيو. اللصوص اللصوص. ارقب بيتك. بيتك. أكياسك. اللصوص اللصوص .

برابنسيو : ما الموجب لمناداتى لهذا الصخب المرعب؟ ما الخبر؟

ردريجو : هل كل أهل بيتك فى البيت يا سيدى؟

ياجو : هل أبوابك مقفلة بإحكام؟

برابنسيو : لم هذا السؤال؟

ياجو : السؤال يا سيدى لأنك سرقت. سرق منك شرفك البس رداءك. إن قلبك قد كسر وإن شرطة روحك قد فقدت. أنا أكلمك وفى هذه الساعة بل فى هذه الدقيقة فحل عجوز أسود يغشى نعجتك البيضاء. انهض. انهض. أيقظ على قرع الجرس أهل المدينة النائمين وإلا استولدك الشيطان حفيدًا. انهض انهض. إنى حذرتك..

برابنسيو : ما هذا الهذيان؟ أمجانين أنتم؟

ردريجو : يا سيدى الجليل أتعرف صوتى؟

برابنسيو : لا.. من أنت؟

ردريجو : أنا ردريجو..

برابنسيو : لا أهلاً ولا مرحبًا لقد طالما حذرتك من ارتياد أبوابى وأبلغتك بصراحة أن ابنتى ليست لك والآن بعد أن ملأت جوفك وأفرغت فيه ما لا يسع من الكؤوس حتى أصابك المس [٣] جئت بهذه المكيدة السيئة توقظنى من نومى مرتعدًا.

---

(١) يتغير إلى اصفرار

(٢) بصوت عال.

(٣) ضرب من الجنون.

ردريجو : مولاى. مولاى. مولاى.

برابنسيو : لكن ثق أن فى خلقى وفى مجدى ما يمكننى منك فتتدم.

ردريجو : تلطف يا سيدى الرحيم.

برابنسيو : ما تلك السرقة التى تذكرها لى. نحن فى البندقية ومنزلى ليس بعض الأهراء فى الخلاء.

ردريجو : يا عظيم الوقار برابنسيو لقد جئتك بقلب صاف. وضمير لا كيد فيه

ياجو : أنت يا سيدى من الذين لا يخدمون الله لو نهاهم الشيطان عن خدمته. ألأننا جئنا نسدى إليك معروفًا وأنك ظننتنا أهل بغى تدع ابنتك يغشاها جواد من البربر؟ لتلدن لك حفداء يصهلون فى وجهك وليكونن لك أبناء عم من الخيل وأقرباء من المهَارَى.

برابنسيو : أنت من أيها الدعى الضحكة؟

ياجو : أنا يا سيدى رجل جاء ليقول لك إن ابنتك والمغربى الآن متكونان فى شكل حيوان ذى ظهرين.

برابنسيو : أنت سافل.

ياجو : وأنت... عضو فى مجلس الأعيان.

برابنسيو : سيكون لك معى شأن. عرفتك يا ردريجو

ردريجو : الشأن الذى تريده يا سيدى. لكن أتهل إليك أن تتبئنى: أبمشيئتك وبمقتضى حكمتك كما يكاد يَشْبُتُ ذلك. خرجت كريمتك الجميلة فى هذا الهزيع الآخر من الليل إذ الناس نيام وإذ لا يزيد حارسها ولا ينقص عن أحد الفقراء الذين يخدمون الجمهور من ملاحة الزوارق لتستسلم بين ذراعى مغربى كثيف؟ فإن كان ذلك بعلم منك وسماح فقد أسأنا إليك وجرؤنا عليك وإلا فكأننى بك تهيننا ولا ذنب لنا. ولا تظن أننى تناسيت مقتضيات الكرامة إلى حد أن أستنزلك من مقامك العالى لمثل هذه الممازحة بل أعيد عليك أن أبنتك – إذا كنت لم تأذنها – قد ارتكبت خطأ جسيمًا بمنحها يدها وجمالها وعقلها وثروتها لأجنبى شريد بدون موطنه هذا البلد وله من كل أفق سواه مواطن. بادر لتتبين الهدى.

فإذا كانت ابنتك فى غرفتها أو فى البيت فادفعنى إلى عدل القضاء ليعاقبنى على خدعتى إياك كما فعلت.

برابنسيو : اقدحوا الأزندة.. يا رجالى.. هاتوا لى مشعلاً.. استيقظوا يا أتباعى.. استيقظوا كلكم. هذا الحادث لا يختلف كثيرًا عما رأيته فى حلمى.. يا

لمخوفى مما سألاقيه.. أنيروا يا رجالى أنيروا.. (ينصرف عن النافذة)

ياجو : أستودعك الله لأنه ليس من العقل ولا من المصلحة أن أبقى هنا فأتخذ شاهدًا على المغربى الذى بيده منصبى خصوصًا مع علمى أن الحكومة مهما يسؤها منه هذا الخطأ فلا تستغنى بلا خطر على البلاد عن خدمة هذا الرجل ولهذا عقدت له لواء الحرب الناشبة الآن فى قبرس ولو بحثت عن غيره ما وجدت لها خيرًا منه فضرورات معيشتى قاضية على مع كرهى إياه أكثر من كرهى لعذاب السعير أن أظهر له الولاء. على أنها علائم لا شىء فيها غير الظاهر.. فإذا أردت أن تجد الرجل فوجه إلى المعقل الذى فيه الضباط من استيقظ من القوم للبحث عنه وسأكون هناك بجانبه.. إلى الملتقى

(يدخل برابنسيو وخدم معهم مشاعل)

برابنسيو : صدقتنى النبأ وإن الخطب لجلل فلم يبق لى إلا تجرع الصاب بعد الهوان فى القليل الباقى من أيامى. قل لى يا ردريجو أين رأيتها؟ ويلها من فتاة شقية! أمع المغربى؟ من يجرؤ بعد هذا أن يكون والدًا؟ كيف علمت أنها هي؟ وا حر قلباه! خدعتنى من وراء التصور..

ماذا قالت لك؟ هاتوا مشاعل أخر. أيقظوا كل أقاربى...

هل تزوجا؟ أتظن أنهما تزوجا؟

ردريجو : ذلك ما أظنه.

برابنسيو : يا للعجب! كيف خرجت؟ يا لخيانة الدم! أيها الآباء لا تأمنوا بعد الآن نفوس بناتكم على ما يبدين من الطهارة. ألا توجد ضروب من السحر تغش بها الشبيبة وتستدرج العفة؟ ألم تقرأ شيئًا فى هذا المعنى يا ردريجو؟

ردريجو : بلى يا سيدى؟

برابنسيو : أيقظوا أخى. لماذا لم أرض بك قرينًا لها. اذهبوا بعضكم من جهة وبعضكم من جهة أخرى، أتعرف أين نستطيع أن نظفر بهما؟

ردريجو : أظن أننى أكشفهما إذا صحبتنى ومعك حرس أمناء.

برابنسيو : أرشدنى أرشدك الله. سأدعوا الناس من كل منزل وأمرى مطاع عند الأكثرين. تقلدوا أسلحتكم. أيقظوا بعض الضباط المنوط بهم السهر. هلم بنا يا ردريجو وسأعرف لك هذه المنة.

المشهد الثانى

فى البندقية – طريق أخرى

[يدخل عطيل وياجو وخدم بمشاعل]

ياجو : لقد تعودت القتل فى الحروب ولكننى ما زلت أخشى تحميل ضميرى إزهاق روح عن عمد وتعوزنى فى بعض الأحيان مثل هذه الاستباحة لخدمة نفسى على أننى عزمت تسع مرار أو عشر مرار على إيلاج [1] نصلتى فى ذلك الشيخ هنا تحت الأضلاع ولكن ...

عطيل : كان خيرًا أن تجرى الأمور كما هى الآن.

ياجو : والخير ما جرى. غير أن الرجل ثرثر ما شاء وطعن طعنًا مستنفزًا فى حق عليائكم بحيث إننى على قلة تقواى لم أكد أطيق الصبر على ما يقول... لكن ألا يتفضل مولاى ويخبرنى هل تم القران؟ إن ذلك الشيخ الذى لقبه الشعب بالكريم محبوب حبًا جمًا وله فى المجلس صوت أقوى مرتين من صوت الدوج ففى وسعه أن يضطرك على الطلاق أو أن يحول دون مرامك بكل المكايد والمشاكسات التى يستمد أسبابها من القانون بما له من المقدرة والبأس.

عطيل : ليفعل ما يشاؤه حنقه. إن جلائل الخدم التى خدمت بها هذه البلاد لأبلغ فى الشفاعة لى من شكاياته فى الإضرار بى... وسيعلم القوم منى – عند ما يبيح الشرف الافتخار – أننى سليل بيت من البيوت المالكة وأن أعمالى تقف موقفها العالى بجانب أعتى المناصب التى يبلغها بالتوفيق أمثالى. واعلم يا ياجو أننى لولا شغفى بديدمونه التى سحرت لبى لما رضيت بكنوز البحار بدلاً من حريتى وبداوتى اللتين لا يحد هما حد ثابت ولا تحصر هما دائرة ضائقة... انظر انظر... ما تلك الأنوار القادمة نحونا من هناك؟

ياجو : هذا والدها استيقظ وجاء مع أقاربه. أولى أن تدخل.

عطيل : كلا يجب أن ترونى بحقيقتى كما تظهرها لهم أخلاقى وألقابى وطهارة ذمتى. أتظنهم إياهم؟

ياجو : يبين لى أن القوم غيرهم.

(يدخل كاسيو وبعض ضباط بمشاعل)

---

(١) إدخال.

عطيل : خدم الدوج... وملازمى... طاب ليلكم يا أصدقائى جميعًا. ما وراءكم؟

كاسيو : الدوج يهدى إليك تحياته ويرغب فى حضورك حالاً وألا تبطئ عنه دقيقة واحدة.

عطيل : فى أى شأن تظن؟

كاسيو : إن صدق ظنى فهو شأن ، مخصوص بقبرس ويظهر أنه عاجل لأن السفائن أرسلت فى هذا الليل اثنى عشر رائدًا متتابعين، وكثير من المستشارين أوقظوا وهم الآن مجتمعون فى حضرة الدوج وقد التمسوك فى منزلك بإلحاح فلما لم يجدوك بعثوا ثلاثة أرهاط [1] من الجند للبحث عنك.

عطيل : من التوفيق أن تكون أنت الذى لقيتنى سأدخل هذا البيت مهملة كلمة تقال ثم أصحبكم. (يخرج)

كاسيو : حامل العلم ما يفعل القائد هنا؟

ياجو : كأننى به غنم فى هذه الليلة سفينة من السفن الكبرى مشحونة بالخيرات فإذا أُقِرَّت له فقد أصاب الثروة الخالدة.

كاسيو : لم أفهم ما تعنى.

ياجو : تزوج.

كاسيو : ممن؟

ياجو : تزوج من.. (يدخل عطيل) هيا بنا أيها القائد.. أنمضى؟

عطيل : نمضى ولا عائق.

كاسيو : أرى جماعة أخرى قادمة فى طلبك.

ياجو : هذا برابنسيو. حذار أيها القائد. إنه لينوى شرًا.

(يدخل برابنسيو ردريجو وضباط بمشاعل وأسلحة)

عطيل : قفوا هنا.

ردريجو : هذا هو المغربى يا سيدى.

برابنسيو : أوقعوا به. هذا اللص.

ياجو : على بك يا ردريجو. فرنك [2] أنا سيدى.

عطيل : أغمدوا سيوفكم اللامعة لأن الندى ينزل عليها الصدأ... يا سيدى الجليل إن شيخوختك لأصلح للأمر من سلاحك.

---

(١) جماعات.

(٢) خصكم وقريعك.

برابنسيو : أنت أيها السارق الخسيس؟ أين أودعت ابنتى. سحرتها يا رجل النار وأستشهد على جنايتك بأولى الألباب. أكانت لولا السحر فتاة بتلك الرقة وذلك الجمال... فتاة ناعمة كل النعيم.. آنفة من الزواج إلى حد أنها لم ترض بواحد من أغنى وأجمل شبان أمتنا بعلاً لها.. تتعرض للسخرية العامة بخروجها عن وصاية أبيها والتجائها إلى صدر أسود دهنى كصدرك الذى يدعو إلى الخوف لا إلى السرور؟ ليحكم الناس بيننا. أليس واضحًا وضوح البداهة أنك رقيتها برقى سيئة وأنك خدعت طفولتها بعقاقير أو معادن تهيج الشهوة البدنية؟ سأضع هذه المسألة تحت البحث لأنها معقولة بل يلمسها الفكر لمسًا. فأنا قابض عليك إذن ومتهمك بإفساد أخلاق العذارى وباستعمال صنائع محرمة وغير مباحة قانونيًا. خذوا بتلابيبه.. وإذا قاومكم فأخضعوه وعليه نتائج ما يصيبه.

عطيل : أثنوا أيديكم. لو رضيت القتال ما احتجت إلى داع يدعونى إليه. إلى أين تريد أن أذهب للإجابة عما تتهمنى به؟

برابنسيو : إلى السجن حتى ينقضى الزمن الذى عينه القانون وسير القضاء فتسأل.

عطيل : إذا أطعتك فيما تريد فكيف أستطيع تلبية طلب الدوج وهذه رسله بجانبى جاءت تدعونى إليه لأمر ذى بال فى الحكومة.

ضابط أول : هذا حق أيها السيد الجليل. إن الدوج فى مفاوضة وأنا واثق من أنه بعث فى استدعاء ذاتك الشريف.

برابنسيو : أية مفاوضة يعقدها الدوج فى هذه الساعة من الليل – سوقوه. إن مسألتى ليست من المسائل التافهة – سيعلمها الدوج نفسه وسائر إخوانى من أركان الدولة ويشاطروننى غمى مما لحق بى من الإهانة كأنه لحق بهم أنفسهم وإلا فإنه لو أبيح ارتكاب أمثال هذه الجرائم لأصبح الأرقاء والوثنيون أولياء الأمر فينا.

المشهد الثالث

فى البندقية – ردهة المجلس

[الدوج جالسًا إلى مائدة يحيط بها فريق
من الأعيان وضباط يقومون بخدمتهم]

الدوج : ليس بين هذه الأنباء من التشابه ما يجيز تصديقها.

العين الأول : الأنباء مختلفة جدًا فى الحق وقد ورد الكتب المرسلة إلى أن سفنهم المحاربة سبعمائة.

الدوج : وفى الكتب التى تلقيتها أن عدد السفن مائة وأربعون.

العين الثانى : ويستفاد من أخبارى أن السفن مائتان. غير أن الاختلاف هو فى الرقم – وفى مثل هذه الحالة ترسل الأنباء تقديرًا وتخمينًا وتكثر التباينات – أما الحقيقة الثابتة بعد ذلك من جميع المراسلات فهى أن هناك أسطولاً للعدو متجهًا بأشرعته نحو قبرس.

الدوج : نعم هذا ما يقوله العقل ولكل هذه الاختلافات فى العدد تحدث عندى قلقًا وريبًا.

ملامح من الخارج : ياهو. ياهو. يا من هنا.

أحد الضباط : رسول من السفن

(يدخل الملاح)

الدوج : ما هنالك؟

الملاح : أسطول العدو ينتحى رودس وهذا بلاغ من قبل السنيور أنجلو.

الدوج : ما قولكم فى هذا الانقلاب؟

العين الأول : لا يعقل لأدنى تصور. إن هى إلا محاولة ومغالطة إذ لو تبصرنا فيما لقبرس من الشأن الخاص عند العدو لأدركنا من فورنا أنه إنما يقصدها دون رودس لأنها أصلح وأسهل مأخذًا وليس فيها من وسائل الدفاع والميرة ما فى رودس وعلى هذا لا يقذف فى روعنا [1] أنهم يخطئون ذلك الخطأ بتركهم قبرس وراءهم على كونها تهمهم أولاً وأنها لهم أفيد وإلى متناولهم

---

(١) لا يداخلنا الظن.

أقرب ويندفعون إلى جزيرة أخرى ينبهون عليهم منها الخطر ولا يحلون [1] بطائل.

الدوج : يقينًا لا يعقل أن تكون تلك السفن مرسلة على رودس.

(يدخل رسول)

الضابط الأول : هذه أخبار أخر

الرسول : أيها السادة الأجلاء الكرام إن الأعداء واتجهوا إلى رودس وعزَّزوا أسطولهم بأسطول مساعد.

العين الثانى : هذا ما كنت أقدره – كم تظن تعداد ذلك الأسطول المساعد؟

الرسول : يبلغ ثلاثين شراعًا ضموها إليهم والآن هم عائدون ظاهرًا نحو قبرس. وهذا بلاغ من السنيور منتانو خادمكم الباسل الأمين الذى يرفع إليكم تجلاته ويرجو أن تصدقوا بلاغه.

الدوج : تحقق إذن أن مقصدهم قبرس أليس فيها الآن مركولكسيكو؟

العين الأول : هو الآن فى فيورنته.

الدوج : اكتبوا إليه من قبلنا وأرسلوا الأمر من الفور بريدًا ببريد.

العين الثانى : هذان برابنسيو والمغربى الشجاع.

(يدخل برابنسيو وعطيل وياجو وردريجو وضباط)

الدوج : يجب علينا يا عطيل الباسل أن نستعين بك عاجلا على عدو الوطن (إلى برابنسيو) لم أرك قبلاً أيها السيد الشريف تحية وتكريمًا. كنا فى حاجة إلى مشورتك وإمدادك فى هذه الليلة.

برابنسيو : وأنا فى حاجة إلى مشورتكم وإمدادكم أيضًا. أستميح من فضل سموكم حلمًا. إن الذى انتبذ بى من مرقدى لم يكن داعى منصبى ولا نبأ جاءنى عما نحن فيه. وليس هم المصلحة العامة همى الآن بل بى حزن خاص من تلك الأحزان المجتاحة المتغلبة التى هى أشبه بالفيضان الجارف لكل ما تمر به. ذلك الحزن قد طغى على سائر شواغلى واستغرقها وبقى وحدها مالئًا نفسى.

الدوج : ما ذلك الخطب؟

برابنسيو : بنيتى بنيتى!

الدوج والأعيان : أماتت؟

---

(١) لا يستفيدون منها شيئًا يذكر.

رابنسيو : ماتت عنى. خدعت. سرقت منى. أفسدت برقى وعقاقير مشتراة من بعض الدجالين. وهل تستطيع الفطرة ما لم يغيرها السحر أن تكون بلهاء عمياء حمقاء إلى ارتكاب مثل هذا الخطل [1]؟

الدوج : أيًا كان الذى استعان بمثل هذه الوسائل لاختطاف كريمتك من نفسها ومنك فسيلقى من القصاص أشد ما تؤول به نصوص قانون العقوبات الرهيب بما ندع لك الرأى فى تأويله. نعم هكذا سيكون ولو أن الجانى هو ابننا بنفسه.

برابنسيو : شكرًا لسموكم بكل خضوع. إن الرجل هو هذا المغربى الذى سمعت أنك استدعيته الآن لبعض أمور الدولة.

الدوج والأعيان : إننا لآسفون أشد الأسف.

الدوج بم تجيب دفاعًا عن نفسك.

برابنسيو : بلا شىء والحق ما ذكرتم.

عطيل : يا أولى الاقتدار والرفعة والوقار سادتى الأمجاد المدربين حق أننى أخذت كريمة هذا الشيخ بحيلة. وحق أننى اقترنت بها. غير أن ذنبى لا يتجاوز هذا القدر. إنى خشن فى مقالى وغير حاذق فى صناعة المخاطبة باللسان السلمى العذب ذلك لأن هاتين الذراعين، منذ بلغتا مبلغهما للسنة السابعة بعد مولدى إلى مبدأ التسعة الأهلة الأخيرة من عمرى، لم تألفا من الرياضة أجمل مما ألفتا منها حيال الفلوات المضروبة فيها الخيام وفيما عدا وقائع الحرب والجلاد لا أجد شيئًا ينطلق به لسان إلا اليسير من أحوال هذا العالم الواسع فإذا دافعت عن نفسى فلا قبل لى بتحلية الدفاع ولا خشية عليكم من تأثير محسنانى اللفظية ولهذا سأقص عليكم إن أذنتم بكلمات موجزة صريحة غير منمقة ولا مزدانة تاريخ غرامى وأذكر لكم أية العقاقير وأية الطلاسم وأية المؤامرات استخدمتها لإغراء كريمته فتعلموا مبلغ تلك التهمة من الصحة.

برابنسيو : فتاة تعيش حيية هادئة خادرة تكاد تحمر خجلاً إذا أبدت حراكًا أتخالف طبعاها وسنها وأمتها ومنزلتها من الجادة بل كل مسوغ مشروع لتتعشق شخصًا كانت تتهيب النظر إليه؟ من قال إن الكمال يشذ هذا الشذوذ عن نواميس الطبيعة فهو أبتر الرأى ناقصه والذى تقضى به الضرورة لدى

---

(١) إخطاء الرأى.

حدوث مثل هذا الحادث أن يبحث عن علته فى حيلة من حيل جهنم فأنا ما زلت مصرًا أن ذلك الرجل أثر فيها بمزيج فعال فى الدم أو بشراب مرقى لهذا الغرض.

الدوج : الإصرار ليس بالإثبات ولابد لك من الاستشهاد بوقائع أجلى وأدق من المزاعم العرضية والتقديرات السهلة التى تدل عليها هذه الظواهر المألوفة.

العين الثانى : ليتكلم عطيل. هل اتخذت وسائل منحرفة ذات تأثير شديد لتتفث فى ضمير الفتاة السم وتملكها بها أو تذرعت إليها بالاستعطافات والإلحاحات الجميلة التى تتاجى بها النفس النفس لتستميلها؟

عطيل : أبتهل إليكم أن ترسلوا فى طلب السيدة من منزلى بالثكنة ولتتكلم عنى بحضرة أبيها فإذا شهدت بشىء تستقبحونه منى فلا فتكتفوا بحرمانى ثقتكم وعزلى من منصبى بل أوقعوا عقوبتكم على حياتى.

الدوج : لتستحضر ديدمونه.

عطيل : حامل العلم اذهب وادللهم على مكانها (يخرج ياجو وبعض الخدم) وفى انتظار قدومها سأقص على مسامعكم الشريفة قصة هذا الغرام الذى ملكت به قلب تلك الحسناء وملكت به قلبى.

الدوج : اذكر لنا هذه السيرة يا عطيل.

عطيل : كان أبوها يحبنى. وكان كثيرًا ما يدعونى فيسألنى ترجمنى مفصلة سنة بسنة وبيان المكافحات والمحاصرات التى شهدتها وتعديد ما أحرزته من النصرات فكنت أجيبه إلى أمنيته حتى لم تبق فى حاتى كبيرة ولا صغيرة إلا حدثته بها وذلك منذ نعومة أظفارى إلى اليوم الذى كنت أجالسه فيه. فما وصفته له الطوارئ الرائعة والفواجع المبكية التى لقيتها برًا وبحرًا من مثل ما جرى لى يومًا وقد أوشكت أن أقتل فى ثلمة من ثلمات الحصار لولا لطف من الله تداركنى عن قيد شعره، ومن مثل استشارى يومًا لعدو وقح باعنى بيع الرقيق، ومن مثل شرائى رقبتى وضروب الغرائب التى صادفتها فى أيامى. وكان فى خلال إخبارى بتلك الوقائع يدخل فى كلامى تصوير مفاوز فسيحة وصحارى قاحلة ومحاجر كالحة وصخور وجبال تشمخ بقممها إلى العنان. كل هذه الأغراض كانت تمر تباعًا فى أقوالى ناهيكم بمشاهداتى لأكلة اللحوم البشرية ولأقوام أخر جعل الله رؤوسهم تحت أكتافهم. وكانت ديدمونه تسمع هذه الأقاصيص بشغف. سوى أن بعض مشاغل البيت كانت بين آن وآن تضطرها للقيام فإذا انصرفت لها

قضتها بأسرع ما تستطيع وعات تشرب حديثى بأذن ظمأى. فلما لمحت ذلك منها استدرجتها ذات يوم فى ساعة مناسبة لتسألنى أن أقص عليها بالتمام سيرة رحلاتى التى كانت قد سمعت منها نتفًا ولم تتمكن من استتباعها فأعدت عليها تلك السيرة كما أرادت وكنت أراها غير مرة تبكى رحمة لشبابى مما أصابنى فيه من الأرزاء الأليمة. وعندما ختمت قصتى كافأتنى عليها بتنهدات لا تحصى وأقسمت أنها غريبة فى الغاية وأنها محزنة إلى النهاية بحيث تمنت لو لم تسمعها – على أنها قالت فى بعض ما قالت إنها كانت تود لو خلقها الله رجلاً على هذا المثال ثم شكرت لى معروفى وكاشفتنى بأنه إذا كان لى صديق يحبنى فحسبى أن أعمله كيف يقص ترجمة حياتى لترضى به قرينًا. هذه العبارة جرأتنى فبحت لها بما فى ضميرى وعلمت منها أنها أحبتنى بسبب الأخطار التى عانيتها وشعرت من نفسى أننى أحببتها لما تبينت من شفقتها على ورقتها لى. ذلك هو الفن الوحيد الذى توسلت به إليها من أفانين السحر. على أنها قادمة وستسمعون شهادتها.

(تدخل ديدمونه)

الدوج : أعتقد أن قصة كهذه تستهوى بها ابنتى أيضًا، أيها العزيز برابنسيو لا تنظر إلى هذه المسألة من حيث تؤلمك. إن الرجال لأشد دفاعًا عن أنفسهم بأسلحتهم المحطمة منهم بأيديهم وهى خالية.

برابنسيو : ألتمس أن تسمعوا كلامها لتعترف أنها خطت نصف الطريق والله شهيد أن ملامتى لا تقع بشدتها على هذا الرجل. تقدمى أيتها الآنسة الجميلة أمدركة أنت لمن هؤلاء الجماعة الشرفاء يجب عليك الطاعة؟

ديدمونه : يا والدى الشريف أجد هنا واجبًا مقسومًا. أنا مدينة لك بحياتى وتأديبى ومنهما أعرف قدر ما ينبغى لك على من التجلة وما زلت خليقًا بطاعتى لأننى لم أزل سليلتك. غير أن هذا الرجل قرينى وإنى لمقرة بين يديك إنى مدينة لهذا المغربى بمثل الطاعة التى كانت تلبيك بها أمى مؤثرة [1] إياك على أبيها.

برابنسيو : عافاكم الله. انتهيت. أرجو من سموكم أن يتحول اهتمامنا إلى مصالح الحكومة. كان خيرًا لى أن أتبنى طفلاً ما من أن ألد هذه. إدن منها أيها

---

(١) مفضلة.

المغربى. أعطيك هنا عن رضا ما كنت لا أسمح لك به لو لم تسبق إلى ملكه. لك فضل على يا جوهرتى بسرور عظيم سررته الآن، وهو أننى لم أرزق سواك من البنات، لأن فرارك كان يضطرنى أن أعاملهن بقسوة المستبدين. وأجعل فى أعناقهن الحبال. انتهيت يا مولاى.

الدوج : دعنى أتكلم عنك وأذكر حكمة إذا عمل بها هذان العاشقان تدرجًا إلى رضاك. حيث بطل نفع الأدوية زالت الآلام بزوال ما كان عالقًا بتلك الأدوية من الآمال. البكاء على ما فات مجلبة لغيره من الآفات. من عجز عن استعادة ما ذهبت به المقادير فالأجدر به أن يحول بصبره جد المصاب إلى سخرية. ودُعَاب. الرجل الذى يسرق فيبتسم ينتقص شيئًا من السارق، أما الذى يحزن بلا طائل فهو سارق نفسه.

برابنسيو : إذن لندع الأعداء يغضبون منا قبرس ولا خسارة علينا ما بقى فى استطاعتنا أن نبتسم. هذه حكمة خفيفة المجرى على لسان من فى قلبه مثل ما فيها من التسلية، أما الذى يحمل الألم والحكمة معًا فهو الذى يستعير من الصبر ما يدفعه إلى الحزن. أمثال تلك الحكمة، وفيها الحلو والصاب مجتمعين والقوة والضعف متجاذبين. إنما هى كَلِمٌ ملتبسات على أنها ألفاظ ولسن إلا ألفاظًا. وما سمعت حتى الساعة بشفاء وصل من طريق الأذن إلى قلب جريح. لنتكلم الآن فى شؤون الدولة. هذا ابتهالى إليكم بكل اتضاع.

الدوج : الأعداء متجهون بأسطول شديد القوة إلى قبرس. عطيل أنت أدرى بجهد ما تستطيعه تلك الجزيرة من المقاومة ومع أن لنا هنالك عاملاً ذكيًا فيه الكفاية كل الكفاية لصيانتها إلا أن المشورة التى لها القول الفصل فى تحول الأحوال هى التى آثرتك وبك تجد مزيَّدا من الثقة فلابد لك من أن تشوب بهجة فرحك بأخطار هذه الحملة وضوضائها.

عطيل : العادة وهى المستبدة قد استحكمت منى أيها الأعيان المتبصرون حتى جعلت مرقد الصخر والفولاذ فى الحرب ألين لى من مرقد الزغب الناعم. وإننى لأشعر بسرور طبيعى وثاب لدى مغامرة المحن القاسية. فعلى إذن تولى هذه الحرب فى وجه الأعداء. وغاية ما ألتمسه منكم مع الخضوع لعظيم اقتداركم أن تجعلوا لحليلتى كفالة لائقة لمقامها فتمنحوها منزلاً

وتجروا عليها رزقًا يكونان على مناسبة شرفها وعلو محتدها [1].

الدوج : لها أن تقيم عند والدها إذا رضيت.

برابنسيو : لا أرضى.

عطيل : ولا أنا.

ديدمونه : كذلك وأنا أستعفى صيانة لوالدى من أن تحرجه رؤيتى. أيها الدوج الرحيم تقبل منى دعاءً أستمد به معونتك لجرأتى.

الدوج : ماذا تريدين يا ديدمونه؟

ديدمونه : لقد أحببت المغربى حبًا يقضى على بألا أفارقه فى حياتى. اثبت ذلك بما تعرضت له من سوء الأحدوثة والاستسلام للقدر وقلبى يعيننى على تحمل جميع المتاعب التى يقضى بها على منصب هذا السيد الذى وقفت روحى وسعادتى على مجده وبسالته. فإذا تركتمونى أيها السادة الأعزاء مقيمة ههنا كالفراشة فى أيام الصفاء على حين يذهب هو إلى الحرب حرمتمونى إيفاء النذر الذى نذرته لذلك الشرف الذى من أجله أحببته وسمتمونى عذاب هجر طويل على مهما قصر.. فائذنوا لى بالسفر معه.

عطيل : إذنًا بسفرها أيها السادة. أبتهل إليكم أن تجيبوها إلى سؤلها والله يشهد أننى لا ألتمس لها هذا العناء لمتاع نفسى وإخماد لواعج قلبى. فقد شفيت سورته الأولى، ولكن لقضاء رغبتها بحب وكرامة. كما أننى أحاشى معالكيم الطاهرة من أن تظنوا أننى سأهمل الأعمال الجدية الجسيمة المنوطة بى لأن حليتى تكون بجانبى. لا لا. ولو أننى استسلمت بغرام استسلامًا يغشى بنعيمه حزمى وعزمى ويفسد للذاته قيامى بواجباتى لرضيت أن تأخذ قعائد البيوت خوذتى [2] ليصطنعن منها طاسة وأن يبارينى فى شهرتى ومجدى الزعانف الذين يصحبهم النحس والخجل فيظهروا على ويسبقونى.

الدوج : ليكن من أمر حلها أو ترحالها ما تريان أنتما. الحاجة ملمة والخطب يقتضى المبادرة.

العين الأول : ينبغى أن تسافر الليلة.

عطيل : بكل ارتياح.

الدوج : سنجتمع ههنا الساعة التاسعة صباحًا فاستبق يا عطيل واحدًا من ضباطك

---

(١) شرف أصلها.

(٢) قبعة الفارس من المعدن.

ليحمل إليك عدًا تكاليفنا ومرسومات تنصيبك وتلقيبك.

عطيل : إذا أحسن لدى مرحمتكم أستبقى حامل علمى. هو رجل أمين نزيه وإليه سأعهد فى إحضار امرأتى وحمل ما تشاء مرحمتكم إرساله إلى.

الدوج : ذلك إليك. طاب ليلكم جميعًا. إلى برابنسيو أيها السيد الشريف إذا صح أن الفضيلة لا تخلو قط من جمال خلاب فصهرك أجمل بكثير مما هو أسود.

العين الثانى : صحبتك السلامة أيها المغربى الباسل. أحسن معاملة ديدمونه.

برابنسيو : اسهر يا مغربى إذا كانت لك عينان ترى بهما. إنها خدعت أباها وقد تخدعك أيضًا.

(يخرج الدوج والأعيان والضباط الخ).

عطيل : أن أضمن أمانتها بحياتى. أى ياجو النزيه إنى مضطر أن أدع لك ديدمونه وأرجو أن توصى امرأتك بمنحها ما ينبغى من الخدم وعليك أنت أن توصلها إلى الجزيرة فى أحسن ما يستطاع. تعالى يا ديدمونه لم يبق لى إلا ساعة نخلو بها للوداع وتدبير شئون رحلتنا الوقت حاكم لا بد من طاعته

(يخرج عطيل وديدمونه)

ردريجو : ياجو.

ياجو : ماذا تقول يا ذا القلب النبيل.

ردريجو : أى شيء تظنى أتمناه الآن.

ياجو : لا جرم أن تتمنى الذهاب إلى السرير والرقاد.

ردريجو : سأذهب لإلقاء نفسى فى البحر حالاً.

ياجو : إذا فعلتها لم أحببك بعد الآن أتفعلها أيها الشريف الأبله

ردريجو : البلاهة أن نعيش حيث العيش ألم وأنجع دواء هو الموت، حيث يكون الموت الطبيب.

ياجو : يا له من جبن! لقد بلغت الثامنة والعشرين من سنى ومنذ طفقت أتبين الإساءة من الإحسان لم أجد رجلاً يحب نفسه حق الحب. أنا قبل أن أعزم على الهلاك غرقًا لهيامى فى دجاجة ما، أوثر أن تحول من رجل إلى قرد.

ردريجو : ما فى وسعى أن أعمل. أعترف أن العشق وقد بلغ هذه الغاية عار على ولكنه ليس فى طاقتى أن أستشفى منه.

ياجو : الطاقة؟ ما معنى الطاقة؟ نحن الذين بإرادتنا نكون كذا أو كذا. أجسامنا حدائقنا ومشيئاتنا بستانيوها بحيث لوعن لنا أن نزرع فيها صنفًا دون آخر أو نستنبتها عشبًا أو ننزع غيره أو نخد منها فتخصب أو نهملها فتمحل ففى مشيئاتنا من السلطة ما يكفى لإعدادها وتنقيحها على حد ما نشتهى. ثم إنه لو لم تكن فى ميزان أعمارنا كفه من العقل لمعادلة كفه الشهوة لكانت خسة طبائعنا تدفعنا إلى أوخم العواقب. غير أننا رزقنا العقل لإخماد ثورة غضبنا وتسكين لواعج أمانينا البدنية وكبح شهواتها التى لا لجم لها. ومما تقدم أستنتج أن الذى تسمونه حبًا إن هو إلا فسيلة [1] كسائر الفسائل أو فرع كسائر الفروع.

ردريجو : غير معقول أن يكون الحب هكذا.

ياجو : بل قل هو – وما يزيد عما أعرفه به – مطمع من الدم وإذن من الإرادة. تنبه وكن رجلاً. أتغرق نفسك. غرق لى بعض الهرار أو بعض الكلاب الصغيرة العمياء. لقد أبديت لك صداقتى وأجاهرك أننى مشدود إلى كرائم خلالك بحبال متينة خالدة ولم يكن قط فى وسعى أن أخدمك كخدمتى إياك الآن. ضع نقودًا فى جيبك واتبعنا إلى دار الحرب مخفيًا وجهيك وراء لحية مستعارة. ضع نقودًا فى جيبك، نصيحة منى لك لا يحتمل أن تستمر ديدمونه على حبها للمغربى.. ضع نقودًا فى جيبك.. ولا يحتمل أيضًا أنه هو سيستمر على شغفه بها طويلاً ذلك بأن البداءة العنيفة فى مثل هذا الاتصال يعقبها الانفصام العنيف.. ضع نقودًا فى جيبك ولا تكلف نفسك غير هذا العناء.. إن هؤلاء المغاربة لمتقلبون فى أهوائهم.. املأ جيبك نقودًا. فإن الطعام الذى يجده الساعة شهيًا كالأناناس سيصبح فى فمه مرًا كالعلقم.. وأيضًا هى فإنها ستبغى منه بديلاً أنصر عودًا، وعندما تشبع من رسمه تنبه لسوء اختيارها وتريد التغيير. حتمًا.. على هذا ضع نقودًا فى جيبك.. وإن كنت مصرًا على التهالك بلا محيص فالتمس شيئًا اقل فظاعة من الغرق.. اجمع ما تستطيعه من النقود.. فإذا لم تكن قدسية الزواج وضعف اليمين التى يرتبط بها بربرى شريد ورفيقة من نواعم البندقية أمرين فوق المكابد التى يفتقها فكرى وفوق جميع القوى الجهنمية فإنك لا محالة متمتع بها، إذن هيئ نقودًا... أتغرق نفسك؟! بئس الرأى من رأى خائب.

---

(١) عقلة.

انبذه وفضل أن تشنق وقد قضيت مأربك على الغرق الذى يقصيك عن هذه الدنيا وفى نفسك تلك الحسرة.

ردريجو : أتنشط بلا ملل ولا انحراف لتحقيق آمالى إذا عزمت على هذا السفر.

ياجو : أنت على ثقة منى. اذهب واعدد نقودًا. قلت لك مرارًا وأعيد عليك قولى تكرارًا إننى أكره ذلك المغربى وبغضى له متأصل فى فؤادى كما هو متأصل فى فؤادك فلنجمع ثأرينا وإذا استطعت أن تدنس عرضه كان ذلك لك سرورًا وكان لى تفكهة. الليالى يحملن كثيرًا من الحوادث وسيلدنها. إلى الأمام إلى الأمام. اذهب واجلب نقودًا ثم نستأنف المفاوضة غدًا أستودعك الله.

ردريجو : أنى نلتقى غدًا صباحًا.

ياجو : فى منزلى.

ردريجو : سأذهب إليك مبكرًا.

ياجو : حين تشاء إلى الملتقى. أسمعت؟

ردريجو : ماذا تقول؟

ياجو : أقول إياك والغرق.

ردريجو : غير عزمى وسأبيع جميع أملاكى.

ياجو : اذهب موفقًا وضع نقودًا كافية فى جيبك (يخرج ردريجو)

بهذه الحيلة وبأمثالها جعلت هذا الأحمق موضع جيبى ولو لم افعل لانتقصت التجارب التى اكتسبتها إذ لا معنى لإضاعة وقتى مع مثل هذا الفرخ الرومى ما لم أستفد منه تسلية ومالاً. أنا أمقت المغربى يظن الجمهور أنه أعلى منصبى من تحت لحافى على أننى لا أعلم إن كان هذا الظن صحيحًا ولكن الوهم فى مثل هذا يكفى عندى للحلول محل الحقيقة. الرجل يحترمنى واحترامه إياى يزيدنى رجاءً بإفلاح مكايدى.. أما كاسيو فهو شاب جميل لنفكر فى أمره هنيهة... ما العمل للحصول على منصبه بحيث أكون قد أصبت راسين عن رمية واحدة من رميات غدرى؟ آية الحيل أفضل؟ لنفكر قليلاً. خير وسيلة فيما أظن أن آخذ بمخادعة أذن عطيل فألقى فيها كلمة بمعنى أن كاسيو شديد التقرب من امرأته. على أن شكل كاسيو وحسن أدبه يريبان، وقد خلق لإغواء الغوائى. ولما كان المغربى صريح الضمير بين الطوية يعتقد النزاهة فى كل من يرى عليه ملمحها كان من الميسور لى أن أقتاده من أنفه كما يقتاد الحمار. هذه

مكيدتى ظفرت بها... فليستولدها صلب الظلام من بطن جهنم خلقًا شاذًا إذا طلع عليه النهار ظهر فظيعًا رهيبًا.

الفصل الثانى

المشهد الأول

مرفأ فى قبرس ورواق

[يدخل منتانو ووجيهان]

منتانو : ماذا تتبين فى البحر من جهة الرأس؟

أحد الحاضرين : لا أتبين شيئًا. البحر مضطرب جدًا ولا أستطيع أن أرى شراعًا بين السماء والماء.

منتانو : أجد أن الريح قد أزعجت الأرض ولا أظن أن إعصارًا كان أشد على حصوننا وممتلكاتنا من هذا الإعصار على أنه إذا كان هذا ما فعله فى البحر فأية الأشجار استطاعت أن تبقى فى منابتها عندما تحاذفت عليها جبال الأمواج. أى شىء سيجيئنا من أخبار هذه العاصفة.

الوجيه الثانى : تفرق أسطول الأعداء. انظر من الشاطئ المضطرب تر الأمواج الثائرة كأنها واثبة لتضرب الساحب بل كأنها هاجمة بغفراتها [1] الرائعة المتعالية لتلقى ماء على النار المتقدة فى نجوم الدب ولتطفئ تلك الثوابت من حراس القطب. ما رأيت عمرى غضبة للبحر الهائج كهذه الغضبة

منتانو : إذا كان أسطول العدو لم يلجأ إلى الموانئ فإنه لغريق وتستحيل عليه المقاومة. (يدخل وجيه ثالث)

الوجيه الثالث : أخبار جديدة يا أولادى. انتهت الحرب لأن هذه العاصفة الجموح تركت أساطيل الأعداء مكسورة الأجنحة وقد رأى غرقها وتحطمها مركب قادم من البندقية.

منتانو : يا للعجب أصدق ما تقول؟

الوجيه الثالث : المركب قد دخل المرفأ ونزل منه فيرونى [2] يدعى ميشيل كاسيو. هو ملازم المغربى الباسل عطيل. ومن قوله إن عطيلاً فى العباب الآن وإنه موقد إلينا ليكون آمرًا مطلقًا فى قبرس.

منتانو : أنا مسرور به لأنه حاكم جدير بهذا المقام.

الوجيه الثالث : غير أن كاسيو هذا على ما جاءنا به من الأنباء الطيبة عما حل بالأعداء لا يبدو عليه الارتياح بل هو كئيب يدعو الله لنجاة المغربى لأن العاصفة

---

(١) لبات الأسود.

(٢) نسبة إلى مدينة فيرونا بإيطاليا.

بشدتها فرقت بينهما.

منتانو : لنضرع إلى الله أن يسلمه فقد خدمت تحت إمرته وهو قائد لا عيب فيه. هلم إلى الشاطئ لنرى المركب الذى وصل ونرقب بأعيننا مقدم عطيل. ولنلبث ناظرين من موقفنا حتى تختلط فى أبصارنا خضرة البحر وزرقة الهواء.

الوجيه الثالث : لنفعل ذلك فإنه يرجى فى كل دقيقة طروق فوج من الوافدين.

(يدخل كاسيو)

كاسيو : حمداً لك أيها الباسل حاكم هذه الجزيرة لذكرك المغربى بمثل هذا المديح . لعل الله يقيه فقد ضللت عنه فى بحر زاخر بالأخطاء .

كاسيو : أتقول سفينته صالحة للمقاومة؟

كاسيو : سفينته متينة البناء ودليلة ملاح مشهود له بالمهارة لهذا لم يضعف أملى بمجيئه.

صوت من الخارج : شراع. شراع. شراع.

كاسيو : ما هذا النداء؟

الوجيه الرابع : خلت المدينة من أهلها وجميعهم على الشاطئ يصيحون هذا شراع.

كاسيو : قلبى يحدثنى بأن هذا مجيء الحاكم (قصفة مدفع)

الوجيه الثانى : تلك قصفات وداد فلابد أن القادمين من أوليائنا.

كاسيو : هلا ذهبت يا سيدى فأخبرتنا من القادمون؟

الوجيه الثانى : أنا ذاهب.

منتانو : أقائدك متزوج أيها الملازم الكريم.

كاسيو : صادفته العناية فملك قلب فتاة لا يحيط بجمالها الوصف حتى ولا المبالغة. فتاة تفوق بمحاسنها الفطرية أبرع ما يتخيله الكاتبون وأبدع ما يصوره المصورون. (يعود الوجيه الثانى)

كاسيو : بشرنا من دخل المرفأ؟

الوجيه الثانى : رجل يدعى ياجو حامل علم القائد.

كاسيو : وُفِّق فى سفره وسبق الأوان. فلا ريب أن العواصف نفسها، والبحار الثائرة، والرياح الزائرة، والصخور التى تعترضها الأمواج والرمال المتراكمة الخائنة التى تتصيد المركب البرىء قد داخلها شبه رقة للجمال فتحولت عن طبائعها المهلكة، لتفسح سبيلاً أمينة تمر منها ديدمونه.

منتانو : من هذه الإنسانة؟

كاسيو : هى التى كنت أذكرها لك. هى قائدة قائدنا العظيم. جاءت يرعى طريقها الباسل ياجو الذى وصل بها قبل الموعد بسبعة أيام. أيها المشترى الأكبر مالك البحر أيد عطيلاً وأملأ شراعه بنسمتك القديرة ليشرف هذا المرفأ بزيارة مركبه الجميل ولينعم بقرب ديدمونه وليذكى فى قلوبنا ما خبا من ضرم الشجاعة وليمنح قبرس الأمن والسكون.

(تدخل ديدمونه وإميليا وياجو ورودريجو وبعض الأتباع)

كاسيو : انظروا هذه كنوز المركب قد نزلت إلى البر. يا سكان قبرس سجودًا لديها. تحية وسلامًا أيتها السيدة ولتحط بك النعم من كل جانب.

ديدمونه : شكرًا لك يا كاسيو المقدام. ما عندك من أخبار سيدى؟

كاسيو : لم يصل بعد ولكنه بخير فيما أعتقد. وسيكون ههنا عما قليل.

ديدمونه : أواه، أنا خائفة. كيف لا تكون مصاحبة؟

كاسيو : فرقت بينما مكافحة الماء والسماء. لكن سمعًا هذا شراع.

(قصفة مدفع)

صوت من الخارج : شراع.

الوجيه الثانى : قصفات تحية للقلعة هؤلاء هم أيضًا أصدقاء.

كاسيو : وافنا بالنبأ (يخرج الوجيه) يا حامل العلم الكريم مرحبًا بك (إلى إميليا) وأهلا بك أيتها السيدة. يا صديقى ياجو. لا تحنق إذا تماديت فى مجاملتى لامرأتك فإن الأدب الذى ربيت عليه هو الذى يحملنى على تجاوز اللائق (يقبل إميليا).

ياجو : لو أعطتك من شفتيها مقدار ما تعطينى من لسانها لاكتفيت سريعًا.

ديدمونه : أسفى عليها لقل ما تتكلم.

ياجو : بل وذمتى إنها لتتكلم فوق الكفاية. أشعر بذلك كلما جاءت ساعة الرقاد. لا جرم أنها فى حضرتك الآن تضع شيئًا من لسانها فى قلبها ولكنها تختصمنى فى فكرها.

إميليا : لا سبب يدعوك لمثل هذا اللمز.

ياجو : كيف لا؟ كيف لا؟ وأنتن النساء حور حين تكن خارج البيوت وأجراس حين تكن فى الخدور، وهرر برية فى المطابخ. وقد يسات حين تتصدين لإهانة أحد ، وشياطين حين يجرؤ أحد على تكديركن وبواهل عواطل حين تجب خدمة المنزل ونشيطات مشتغلات بأمور المنزل حين تدخلن الأسرة.

ديدمونه : ويح لك من نمام..

ياجو : لست بنمام، هى الحقيقة أو أنتسب لأعداء بلادى إنكن إن تنهضن فلتتنزه أو تدخلن الإسرة فللانشغال بمسائل البيوت.

إميليا : لو ابتغيت مادًا لما استعنت بك.

ياجو : أولى لك ثم أولى!

ديدمونه : ولو كلفت بمدحى ما تقول؟

ياجو : أيتها السيدة الشائقة لا تكلفينى عملاً كهذا لأنك إن طلبت منى غير الهجو صيرتنى إلى عدم.

ديدمونه : خالف طبعك وجرب. أذهب أحد إلى الميناء؟

ياجو : نعم سيدتى.

ديدمونه : لست منشرحة الصدر لكننى أخادع حالة بضدها.
أجبنى كيف تمتدحني..؟

ياجو : أفكر فى ذلك فما أجد فكرى ينطلق من يأفوخى إلا وهو منتزع دماغى وسائر ما هناك كما يفعل الغراء بالوبر الطويل وقد علق به غير أنه إذا كان لابد لقريحتى أن تتمخض فهذا ما تلده: "إذا كانت المرأة جميلة وذكية فجمالها لخدمة الآخرين وذكاؤها لاستخدام الجمال".

ديدمونه : أحسنت فإذا كانت المرأة سوداء وذكية.

ياجو : إذا كانت المرأة سواء وذكية وجدت رجلاً أبيض لا يرى سوادها سوادًا.

ديدمونه : انتقلنا إلى أقبح مما سبق.

إميليا : فإذا كانت جميلة وحمقاء.

ياجو : لا حماقة مع الجمال لأن الجمال يعينها على إيجاد وارث لها.

ديدمونه : هذه سفاسف قديمة قيلت لإضحاك البلهاء فى الخمارات فإن استزدنا فأى شىء تقوله فى البشعة الحمقاء؟

ياجو : مهما تكن بشعة وحمقاء فإنها ترتكب من الغوايات ما ترتكبه الحسناء الفطنة.

ديدمونه : ما أكثف هذا الجهل! تصف أقبح النساء بأحسن ما عندك. والآن كاشفنا برأيك فى امرأة فاضلة واثقة من شرف خلالها بحيث لا تخشى اللوم ولا التثريب.

ياجو : المرأة التى عاشت جميلة ولم تتكبر، التى لزمت حد الكلام الحر فى مناسبته ولم تجاوزه إلى الطنطنة، التى توفر الذهب بين يديها ولم يطش قلبها، التى استمالها الغرام فلم تمل وهى قائلة فى نفسها لو شئت

لاستطعت، التى غيظت وملكت الانتقام فأسكنت غيظها وسامحت فى ألمها، التى لم تضعف عندها الحكمة حتى ترضى بذنب كلب البحر بديلاً من رأس المرجانة، التى ذكا فكرها ولكنها لم تتجه به إلى كشف محاسن نفسها، التى لمحت المحبين يهرعون وراءها ولم تلتفت. تلك إنسانة لو وجدت ومثلها لا يوجد...

ديدمونه : لو تسنى وجود تلك الموصوفة فما تقول فيها؟

ياجو : أقول إنها كانت أصلح النساء لإطعام الأغبياء وتدبير حسابات الفنادق.

ديدمونه : بئست النتيجة العرجاء الكسيحة. لا تتعلمى منه هذا العلم يا إميليا ولو أنه قرينك. ما رأيك فيه يا كاسيو أليس هجاءً شديد الاستباحة عن غير خبرة.

كاسيو : يتكلم بلا تصنع يا سيدتى ولكنه يعجبك بسيفه أكثر مما يعجبك بلسانه.

ياجو (على حدة) : وضع يده فى يدها. أحسنت أحسنت. ناجها همسًا. متى وجدت مصيدة من نسيج العنكبوت رقيقة كهذه الحاشية لم يصعب على أن آخذ بها ذبابة لو بلغ حجمها حجم كاسيو. نعم ابتسمى له. تمتع .سأتصيدك بليونة أدبك. كل ما تقوله صحيح... بلا ريب وذمتى. كان خيرًا لك وأنت عازم على استبقاء منصبك ألا تجعل أصابعك الثلاثة فى فمك توسعها تقبيلاً لترى الحسناء أنك شاب جميل.. أحسنت. هكذا لثم الأصابع ما ألطف هذه المجاملة... فى الغاية فى الغاية... ما هذا؟ أتعيد أصابعك إلى فمك مرة أخرى؟ ما أشوقنى لرؤية تلك الأصابع تتحول عند حاجتك إلى أنابيب محقنة. (يسمح بوق عسكرى) لقد جاء المغربى عرفت بوقه.

كاسيو : نعم هو هوه [1].

ديدمونه : بدار لملاقاته.

كاسيو : بل قد أقبل. (يدخل عطيل ورهط من أتباعه)

عطيل : يا حبيبتى الشجاعة.

ديدمونه : يا حبيبى عطيلاً.

عطيل : لا يعادل سرورى بلقائك إلا إعجابى بأن أراك تقدمتنى يا بهجة حياتى، لو كانت جميع العواصف تنتهى إلى مثل هذا الصفاء فليت الرياح تزأر حتى توقظ الموتى وليت فُلْكى وهى تعاند المعاطب ترتفع بها جبال من الأمواج

---

(١) هذه الهاء توضع للوقف.

عالية كالأولمبس [1] ثم تنحدر بها إلى الحضيض البعيد بعد جهنم عن السماء! أما والذى بيده نفسى لوددت أن أموت الآن من فرط ما أنا فيه من السعادة المطلقة التى أخشى ألا يعاودنى مثلها فى المستقبل المجهول!

ديدمونه : أعفانا الله من أن ينتقص حبنا وهناؤنا قبل أن يحين أجلنا.

عطيل : أجيب بآمين على هذا الدعاء يا أيتها السماوات الرحيمة لا أستطيع الإفصاح عما أنا فيه من البطة كما أتمنى. يكاد السرور لشدته يقطع على أنفاسى لتكن هذه القبل (يقبلها) غاية ما يبلغه قلبانا من الخصام والشقاق.

ياجو : أنتما الآن على أتم اتفاق ولكن أقسم بنزاهتى إلا ما أرخيت الأوتار التى تخرج من هذه النغمات المؤتلفة.

عطيل : هلم بنا إلى القصر، أنا حامل إليكم بشرى يا أصحابى.. انتهت حروبنا بغرق الأعداء، كيف حال الذين عرفناهم قبلاً من أهل هذه الجزيرة؟ أى حبيبتى سيقيمون لك أفراحًا عظيمة فى قبرس ولى عند ساكنيها مودة أعتد بها، أى حبيبتى إننى أكثر من الكلام بغير ما يجب وأكاد أهذى من وفرة ابتهاجى، أرغب إليك يا أمينى ياجو أن تذهب إلى المرفأ وتحمل إلى أشيائى ثم ادع رئيس الملاحين إلى القلعة فهو ذو براعة فوجب له الإكرام. تعالى يا ديدمونه، على الرحب والسعة. وذلك فى قبرس.

(يخرج عطيل وديدمونه)

ياجو : (مخاطبًا ردريجو) أصحبنى حالاً إلى المرفأ، تقدم إن كنت شجاعًا، يزعمون أن سفلة الناس متى عشقوا اكتسبوا من شرف النفس ما يفوق فطرتهم، فأصغ إلى: الملازم يسهر الليلة بين الحرس واعلم أن ديدمونه مغرمة متيمة به.

ردريجو : مغرمة به؟ هذا غير ممكن.

ياجو : اقفل شفتيك بإصبعك هكذا وتعلم... ألم تلمح بأية قوة أحبت المغربى ابتداءً وذلك لمفاخراته والأكاذيب الوهمية التى قصها عليها؟ أتراها تحبه أبدًا لأمثال هذه الثرثرات؟ ستتوق عينها إلى منظر جميل وأى شعاع تجده حينئذ برؤية ذلك الشيطان، متى برد الدم بعد جهد المداعبة الغرامية كان لابد لإيقاده ثانية ولإدخال جوع جديد على الشبع من جاذب فى الملامح، وتناسب بين العمرين، وتوافق فى العادات، وتشاكل فى المحاسن،

---

(١) اسم جبل شهير ببلاد اليونان.

والمغربى خلو من هذه الأشياء وأمثالها، فأما وهذه المشوقات مفقودة منه فمن المحقق أن تلك النفس الرقيقة سترى كيف خدعها ولا تلبث أن يأخذها الفواق [١] تقززًا [٢] منه، وأن تقلاه وتبغضه فحينئذ تندفع بدافع الطبيعة إلى رجل آخر تؤثره. فإذا ثبت هذا يا سيدى وهو تقدير بديهى، لا شبهة فيه بقى أن الرجل الذى فى طريق السعادة إنما هو كاسيو ذلك الضحكة العشاق الذى لا يتسع ضميره لأكثر من تزويق شكله بمظاهر الأدب والحشمة يخفى بها ما تحتها من أهوائه الفاسدة المنحرفة، وأيم الحق إنه لفى أحسن جادة [٣] تبلغه هذه الغاية خصوصًا مع ما هو عليه من الليونة والتلطف لمقاصده ومن التعود على انتهاز الفرص السانحة التى ربما خلقها بدقة ونظره ورشاقة حيلته فهو هزأة رجيم وفوق ذلك شاب وجميل إلى سائر الصفات التى تختلب بها ألباب مجنونات الغرام ثم إنه يتصل كالمرض المعدى وحسبك منه أن المرأة قد لمحته.

ردريجو : لا أصدق ما تدعيه لأنها ميالة إلى الفضيلة كل الميل.

ياجو : كلمنى عن فضيلتها وأكلمك عن أذناب التين، لو كانت كما تتوهم لما أحبت المغربى. بل إن بها صلاحًا ولكنه صلاح القطعة من حلوى البوذنج. ألم ترها لاعبة بمقبض يده، ألم ترها؟

ردريجو : قسمًا بيدى لا مجاملة، ولكن مغازلة. لم تكن السبابة [٤] أول الدهر إلا المستهلة [٥] الخفية لتاريخ الأفكار الأثيمة والمحرمات الشهوية. أوشك ثغراهما أن يلتقيا وتلاثم نفساهما. ذلك من ضروب الشروع فى الجريمة يا ردريجو، وأمثال هذه المجاملات متى افتتحت السير ففى العادة أن يتبعها القائد ومعظم الجند على الأثر والعاقبة والالتحام. خل عنك هذا يا سيدى ودعنى أقدك بما أننى أحضرتك من البندقية. كن فى عسس [٦] هذا الليل وسأسر إليك الشعار [٧] كاسيو لا يعرفك وأنا أكون قريبًا منك. استنبط

---

(١) الفواق تعرفه بالظغطة.

(٢) استنكارًا واحتقارًا.

(٣) الطريق القويمة.

(٤) ثانية الأصابع بعد الإبهام.

(٥) المفتتحة .

(٦) حرس.

(٧) سأقول لك كلمة المرور فى المواقع العسكرية.

وسيلة لإغضاب كاسيو سواء بمخاطبته جهرًا أم بالسخرية من نظامه أو بأى سبب آخر تختاره والأسباب ستكون متوافرة فى تلك الساعة.

ردريجو : سأفعل.

ياجو : إنه يا سيدى غضوب وله مفاجآت فى كدره وربما ضربك. حركة حتى يفعل وعندئذ أنتهز الفرصة أنا لإثارة فتنة بين شعب قبرس تكون خاتمتها لا محالة عزل كاسيو وهكذا يختصر سفرك إلى غايته بما أكيده من المكايد لتحقيق هذه الأمنية ويزول من وجهك هذا الحائل الذى لا ندرك مع وجوده مرامنا.

ردريجو : إذا سنحت فرصة لم أتردد.

ياجو : ستجد الفرصة عن يقين. الحق بى إلى القلعة بعد هنيهة وأنا ذاهب إلى المرفأ لأبعث إليه بثقله [١] إلى اللقاء.

ردريجو : إلى اللقاء.

ياجو : أن يحبها كاسيو ذلك صحيح وأعتقده وأن تحب هى كاسيو ذلك محتمل وسهل التصديق. المغربى – على كرهى له – شريف الخلق ثابت فى حبه ولعله يكون لديدمونه بعلاً وفيًا لكن أنا الآن أحبها أيضًا لا لشهوة تقضى – وإن كان الإحساس الذى يدفعنى إليها لا يقل عن ذلك إجرامًا – بل لأنها تهيئ لى سبيل انتقامى ذلك لأننى أظن أن المغربى الفاسق قد اندس فى فراشى وهو تخمين يأكل الأمعاء أكل السم المعدنى ولا شىء يرفه [٢] عن نفسى إلا أن أجعله عديلى، امرأة بامرأة، فإن لم أستطع فأن أثير فيه من نار الغيرة ما لا يقوى عليه العقل. ولإدراك هذا المرام أرجو أن يطاوعنى ذلك النشاق [٣] الحاذق الذى جلبته من البندقية بلا كمامة فإذا تبع الأثر جيدًا لم ألبث أن أملك ميشيل كاسيو عاجلاً من كليتيه وأن أسود وجهه فى نظر المغربى تسويدًا تامًا لأننى أخشى أيضًا أن يكون بين كاسيو المذكور وبين القبعة التى ألبسها للنوم عداوة يسعى لإزالتها[٤] ثم أريد أن يحبنى المغربى وأن يشكر لى بالحمد والمكافأة جعلى إياه جحشًا

---

(١) يخفف.

(٢) يصف ردريجو بصفة الكلب .

(٣) إشارة إلى اشتباهه فى ريبة ينويها كاسيو لامرأة ياجو.

بينًا.

وإقلاقى راحته وإفسادى سعادته إلى أن يجن جنونًا. هذا مبدأ الخطة التى رسمتها هنا (يشير إلى جبهته) لمكيدتى. هى خطة لا تزال بجملتها مبهمة ولكن وجه الخديعة لا ينكشف إلا إذا أتمت الخديعة فعلها.

المشهد الثانى

طريق

[يدخل مناد بيده قرطاس والشعب يتبعه]

المنادى : اقتضت مشيئة عطيل قائدنا الشريف الباسل بناءً على ما ورد من الأنباء المحققة بدمار أسطول الأعداء أن يعيد الأهلون سرورًا بهذا الحادث بعضهم بالرقص وبعضهم بإطلاق السهام النارية وكل بالملاهى والألعاب التى يؤثرها. ذلك لأن هذا اليوم عدا ما جاء فيه من الأخبار السارة يوم الاحتفال بقرانه. وقد أمرنا بإبلاغ الشعب أيضًا أن جميع مطاعم القصر ومقاصفه مفتوحة ولمن يشاء أن يأكل فيها ويشرب منذ هذه الساعة الخامسة إلى أن يقرع جرس الساعة الحادية عشرة. بارك الله فى جزيرة قبرس وفى قائدنا الشريف عطيل.

المشهد الثالث

ردهة فى القصر

[يدخل عطيل وديدمونه وكاسيو ونفر من الحاشية]

عطيل : يا عزيزى ميشيل ارقب الحرس الليلة ولنعين لمسراتنا المدى الذى يقتضيه العقل لئلا نتجاوز نحن الحد الذى يجيزه التصوُّن [١]

كاسيو : أمر ياجو بما يجب وسأرقب العسس بنفسى.

عطيل : ياجو أمين جدًّا، طاب ليلكم، نلتقى بكرة غدٍ يا ميشيل لحاجة بى إليك.. (إلى ديدمونه) تعالى يا غرامى لنذوق من جنى ما كسبنا ذلك النعيم الذى لم نذقه إلى الآن، طاب ليلكم.

(يخرج عطيل وديدمونه والحاشية)

(يدخل ياجو)

كاسيو : مرحبًا بك يا ياجو، علينا الحراسة.

ياجو : لم تجئ الساعة العاشرة أيها الملازم وإنما صرفنا قائدنا الليلة قبل الأوان من أجل غرامه ولا ملام عليه لأنه لم يقض إلى الآن ليلة كاملة مع ديدمونه على كونها قطعة تليق للمشترى [٢]

كاسيو : إنها لسيدة شهية جدًا.

ياجو : ومحبة للعب. أحلف لها على ذلك.

كاسيو : وعندى أنها أنضر المخلوقات وأرقها.

ياجو : ثم إن لها نظرة إليك أدعى ما تكون إلى البراز.

كاسيو : نظرة إقبال ولكن عن سلامة.

ياجو : وإذا تكلمت ألا يخال من صوتها أن دبانا [٣] تضرب نعمة الغرام على توقيع حربى.

كاسيو : هى الكمال مجسمًا ولا مراء.

ياجو : لندع السعد يتبطن لحافهما وتعال أيها الملازم ندخل إلى هذا المكان فقد خبأت فيه إبريق نبيذ وهناك بعض الكرام القبرسيين يسرون بشرب نخب فى صحة عطيل الأسود.

---

(١) صون النفس عما لا يحمد.

(٢) كبير الآلهة اليونانيين الأقدمين.

(٣) إلهة الصيد.

كاسيو : لا أشرب الليلة أيها العزيز ياجو لأن رأسى من أضعف الرؤوس وأقلها تحملاً للخمر وكان بودى لو أن الأدب اخترع لنا وسيلة غيرها للتودد والتجامل.

ياجو : الضيوف من أصدقائنا ولا تشرب إلا كوبًا واحدًا بل أشربه عنك.

كاسيو : ما تعاطيت الليلة كوبًا واحدًا مقتولاً (بالمزج) ومع ذلك قد بدا على أثره. إنى أسيف لهذا الضعف ولا أجرؤ أن أحمل نفسى كوبًا آخر.

ياجو : أتصر على الامتناع أيها الصديق والليلة ليلة عيد وأصدقاؤنا يتمنون مساقاتنا النخوب.

كاسيو : أين هم؟

ياجو : بالباب أرجو أن تذهب وتدعوهم.

كاسيو : سأفعل ذلك على أنه لا يعجبنى.

ياجو : إذا استطعت أن أسقيه كأسًا غير التى شربها قبلاً امتلأ من الخصومة والسباب كامتلاء الكلب الذى تعوله مولاتى الجميلة... ومن جهة أخرى فإن ردريجو رفيقى المريض الأبله الذى قلب الحب دماغه قد شرب الليلة كأسًا بعد كأس تكريمًا لديدمونه وسيكون مع العسس وهناك أيضًا ثلاثة من فتية قبرس كرماء النفوس شديدو التحمس فى مسائل الشرف لو اندفعوا فى كريهة اندفع معهم جميع سكان قبرس الشجعان قد سقيتهم إلى الشرق وسيكونون من الحراس. بقى على أن أستفز كاسيو بين هذا القطيع من السكارى المدمنين لإتيان أمر يعتدون مهنيًا للجزيرة وأهلها، لكن أراهم قادمين ولئن طابقت النتائج مقدمات تدبيرى سارت سفينتى على ما أشتهى بمعونة المد وموافقة الريح.

(يدخل كاسيو ثم مناتنو ثم أعيان آخرون ثم خدم يحملون آنية الشراب)

كاسيو : لقد أوصلونى إلى حد النشوة.

ياجو : هاتوا خمرًا (يتغنى):

دعونى أرنن الدن

دعونى أرنن الدن

ما الجندى إلا إنسان

ما العمر إلا دقات

خلو الجندى يشرب ما شاء

هاتوا نبيذًا يا أولادى

كاسيو : بالله أنشودة جميلة.

ياجو : تعلمتها فى إنجلترة التى أهلها أقدر الناس على تفريغ الدنان بلا نزاع أما الدانمركيون والألمان والهولنديون ذوو البطون الكبيرة. هاتوا خمرًا. فإنهم لا شىء فى مقابلة الإنجليز.

كاسيو : وهل الحقيقة على ما تصف؟

ياجو : الواحد منهم يعاطى الدانمركى حتى يدعه ميتًا من السكر وهو لم يتعب، كما أنه يغلب الألمانى فى هذا المجال ولا يعرق، فإذا ناظر الهولندى أرسله يتقايأ قبل أن يملأ الزق الثانى.

كاسيو : فى صحة قائدنا.

منتانو : اشرب هذا النخب أيها الملازم وأنا قريعك مهما ترفع الكأس.

ياجو : واهًا لإنجلترا الشائقة (ينشد):

كان الملك إتيين نبيلاً شريفًا
يشترى سراويلاته بتاج [1]
ويظنه مغبونًا بستة بنسات من الثمن نقدًا
يلقب الطرْزى [2] بالضحكة
كان شابًا بعيد الشهرة
وأنت لست إلا رجلاً دنيئًا
الكبرياء مضيعة للأمم
فقم وتدثر بدثارك العتيق
نبيذًا يا غلمان

كاسيو : بذمتى لهذه الأغنية ألطف من الأولى.

ياجو : أتريد أن أعيدها عليك.

كاسيو : لا. لأننى أعتقد أن من يعمل مثل هذه الأعمال غير جدير بمنصبه، على أن الله فوق العباد والعباد فريقان يوم الدين، ناجون وغير ناجين.

ياجو : هذا حق أيها الملازم الكريم.

كاسيو : أما أنا فأرجو أن أكون ناجيًا ولا يؤخذانى فى ذلك القائد ولا أى رجل ذى مكانة.

---

(١) نقد مسمى هكذا.

(٢) خياط اللابس.

ياجو : وأرجو النجاة لنفسى مثلك.

كاسيو : نعم ولكن بعدى لأن الملازم يجب أن ينجو قبل حامل العلم، لكن حسبنا حديثًا فى هذا المعنى....

لنلتفت إلى شؤوننا. اللهم اغفر لنا خطايانا. أيها السادة لنلتفت إلى شؤوننا.... لا تظنوا أنى سكران يا سادتى، هذا حامل علمى، وهذه يمناى وهذه يسراى، لست سكران ألبتة، أستطيع الوقوف قويمًا والتكلم حسنًا.

الجميع : حسنًا جدًا.

كاسيو : على المرام. إذن لا ينبغى أن تظنونى سكران.

منتانو : إلى الرواق يا سادتى نرتب العسس. (يخرج كاسيو)

ياجو : أنتظر هذا الرفيق الخارج الآن، هو جندى لائق للخدمة تحت إمرة قيصر ولتولى القيادة العامة. إلا أنه مصاب بهذه الآفة كما ترى وهذه الآفة بالغة منه مبلغ فضله فهو بينهما شطران مستويان. غبن عظيم. وإنى لأخشى أن تكون الثقة التى لعطيل به سببًا فى زلزلة الجزيرة إذا حمله السكر يومًا على منكرة من منكراته.

منتانو : أكثيرًا ما يكون على مثل هذه الحالة.

ياجو : هذه الحالة تكون على الدوام مقدمة لمنامه. وإذا لم ترقده النشوة فقد يقضى يومه ليلة مستيقظًا.

منتانو : يحسن أن ينبه القائد إلى هذه الخلة فقد لا يراها فيه وقد تكون الفضائل التى يجدها عنده حاجبة نظره عن عيوبه. ألا؟

(يدخل رودريجو)

ياجو (مخاطبًا إياه على حدة) : ما أتى بك يا رودريجو. اذهب عبدوًا وأدرك الملازم. اذهب. (يخرج)

منتانو : من الحيف أن يعرض المغربى العظيم للخطر منصبًا ذا بال كمنصب نائبه بتركه إياه بين يدى رجل مصاب بآفة كهذه لا يرجى شفاؤه منها ومن المروءة أن يفاتح فى هذا الشأن.

ياجو : أنا لا أفعل ولو أعطيت هذه الجزيرة كلها بدلاً من إقرارى لأننى أحب كاسيو وبودى لو أستطيع شفاءه مهما أبذل فيه من مرتخص وغال لكن أسمع صوتًا.... ما هذه الجلبة.

(يعود كاسيو دافعًا أمامه رودريجو)

كاسيو : يا خسيس.. يا نذل.

منتانو : ماذا جرى يا ملازم.

كاسيو : غبى يعلمنى واجبى، سأضربه ضربة تسحقه حتى يدخل فى زجاجة.

ردريجو : تسحقنى؟

كاسيو : أتثرثر يا دنىء.

منتانو : حلمًا يا سيدى الملازم، أضرع إليك! اكفف يدك.

كاسيو : دعنى، أنت يا سيدى، وإلا كسرت فكك.

منتانو : كفى كفى أنت سكران.

كاسيو : سكران؟ (يتضاربان بالسيوف)

ياجو (مخاطبًا ردريجو على حدة) : طر وصح: فتنة فتنة (يخرج ردريجو) حلمك أيها الملازم الكريم. أسفًا يا أيها السادة. المعونة يا للناس. سيدى الملازم. سنيور منتانو. المعونة. نعم الحراس (يقرع جرس الخطر) من يقرع هذا الجرس قف. ستستيقظ المدينة. يا قوة الله. هدئ غضبك أيها الملازم، ستلحق بنفسك عارًا خالدًا.

(يدخل عطيل يليه نفر من الحاشية)

عطيل : ماذا يجرى هنا؟

منتانو : تالله إن دمى ليسيل بلا انقطاع، وإنى لجريح جرح الموت.

عطيل : كفا إن كنتما تأبهان [1] للحياة.

ياجو. : حسبك يا ملازم، حسبك يا منتانو، أنسيتما أين أنتما، وما يجب عليكما؟ قفا؛ إن القائد يخاطبكما، اخجلا وقفا.

عطيل : كفوا هذا القتال البربرى ومن اجترأ منكم أن يخطو خطوة بعد لشفاء غليله فنفه لا قيمة لها عنده وإنى لمورده حتفه لأول حراك يبد ومنه، أسكتوا هذا الجرس الذى يفزع الجزيرة ويوقظها فى هلع. ماذا يا سادة؟ أنت يا ياجو الأمين الذى شحبت [2] شحوب الموت من الحزن، تكلم من البادئ بهذه الخصومة.

ياجو : ما أدرى.. كانوا أصفياء منذ هنيهة كأصفى ما يكون العروسان حين يخلعان ملابسهما لدخول السرير فما شعرت إلا وكأن سيارة من السماء بذرت بينهما الشقاق فانتضيا سيفيهما وتهاجما يتثاخنان. كيف كان مبدأ هذه المبارزة؟ لا أعرف. ولكننى كنت أود لو فُقدت ساقاى فى حرب شريفة

---

(١) تكترثان.

(٢) تغير لونك.

ولم تحملانى إلى هذا المشهد.

عطيل : أى شىء يا ميشيل أنساك الواجب إلى هذا الحد؟

كاسيو : عفوك يا سيدى لا أستطيع التكلم.

عطيل : يا منتانو الشريف أنت متعود اجتناب المزريات [١] وكنت فى أيام شبابك ساكنًا وقورًا يجلك الناقدون الحازمون فما دعاك لإلقاء هذه الشبهة على سمعتك واستبدال لقب "معربد ليلى" بما كان لك من الكرامة العزيزة؟ أجبنى.

منتانو : أى عطيل الشريف، لقد جرحت جرحًا موبقًا [٢] يجهدنى معه الكلام وإن ضابط ياجو ليقدر على إنبائك بكل ما أعلم. على أننى لم أقل الليلة ولم أفعل شيئًا ألام عليه، إلا إذا كان رفقنا بنفسنا فى بعض الأحيان عيبًا، وكان دفاعنا حين يعتدى علينا إثمًا.

عطيل : بالله العظيم لقد أخذ دمى يملك على جوانحى بدل الروية والتؤدة وطفق الرجز يتغشى بصيرتى ويدفعنى إلى ما أكره، ولو خطوت خطوة أو حركت هذه الذراع لسقط خيركم يتخبط تحت غضبى. نبئونى كيف ابتدأت هذه الخصومة القبيحة ومن أثارها فلئن كان شقيقى وتوءمى الذى ولد ساعة مولدى، لأقصينه عن نعمتى. يا عجبًا!! أيدار قتال فى موقع حربى لا يزال أهله فى تأثر شديد وخوف مرهق؟ [٣]؟ ومت؟ فى ظلام الليل. وأين؟ بين فصيلة الحرس. إنه لأمر فظيع، أى ياجو من بدأ هذه الخصومة؟

منتانو : إذا لم تقل الحقيقة مراعاة منك للصحبة أو للمزاملة فلست بجندى.

ياجو : لا تحرجونى بهذه القوة خير لى أن ينتزع لسانى من التفوه بلفظة تكدر ميشيل كاسيو، غير أننى واثق من أن الذى سأذكره لا يضر به فتيلاً، فاسمع ما جرى أيها القائد: بينما كنا نتسامر أنا ومنتانو دخل رجل يستغيث وكاسيو متبعًا إياه يريد ضربه بسيفه المسلول نتصدى هذا الشريف لكاسيو يلتمس منه العفو عنه، وتبعت أنا ذلك الرجل المستصرِخ لمنعه من اهتياج الأهلين بصيحاته كما فعل، على أن الرجل كان أسرع منى عدوًا فما لبثت أن تركته، ورجعت، فإذا أنا بنصلتين تتلاقيان وتَصِلاَّن وبكاسيو يقذع [٤]

---

(١) المخجلات.

(٢) مميتًا.

(٣) شديد.

(٤) يسب.

بألفاظه قذعا ما سمعته منه قبل الآن، على أننى ما كدت أبلغهما حتى كانا قد تركا النصلتين وشرعًا يتراكلان[1]، ولا أقدر أن أقول شيئًا آخر عن هذه المسألة غير أن الرجال إنما هم رجال وخيرهم قد يسهو ويخطئ، فلئن كان كاسيو قد أهان هذا الرجل الكريم، ومع الغضب ربما ضرب الإنسان أصدق الناس مودة له، فلابد أن كاسيو قد لقى من الرجل الذى هرب إهانة بشعة ذهبت بصبره.

عطيل : يا ياجو إن نزاهتك وصداقتك تحملانك على تلطيف الأمر ليكون أقل وقرًا على كاسيو، ولكن اعلم يا كاسيو أننى أحبك وأنك لن تكون ضابط أبد الدهر.

(تدخل ديدمونه وحاشيتها)

عطيل : انظروا إن حبيبتى وخالبة لبى قد استيقظت بسبب الجلبة. (إلى كاسيو) سأجعلك عبرة وعظة.

ديدمونه : ما الذى حدث؟

عطيل : كل شىء على ما يرام الآن يا حبيبتى، عودى إلى سريرك (إلى منتانو) سأكون بنفسى آسى [2] جراحك، انقلوه (ينقل منتانو) اذهب يا ياجو وطف المدينة وأمن الخائفين. تعالى يا ديدمونه. من حياة العسكرى أن يستيقظ من منامه على جلبة القتال.

(يخرجون إلا كاسيو وياجو)

ياجو : ما بالك؟ أأنت جريح يا ملازم؟

كاسيو : نعم وبغير شفاء .

ياجو : لا سمح الله .

كاسيو : سمعتى سمعتى، فقد الجزء الخالد منى. وبقيت البقية الحيوانية، سمعتى ياجو، سمعتى!

ياجو : ظننت وأيم نزاهتى، أنك أصبت بجرح بدنى، ذلك أشد خطرًا من الإصابة بجرح فى السمعة، وما السمعة على الحقيقة إلا أكذوبة باطلة تنال فى الأكثر بغير جدارة وتفقد لغير ما سبب. فلست بفاقد سمعتك إلا إذا أذعت أنك فقدتها. تنبه يا صاحبى. لا تزال لك وسيلة لاستعادة رضا القائد فقد

---

(١) يتضاربان بالأرجل.

(٢) الطبيب المداوى للجراح.

عزلك فى ساعة غضب لا عن سياسة ولا عن مكر بل كما يفعل الذى يضرب كلبه ولا يذنب، ليرهب أسدًا هصورًا، استعطفه عليك بتعطف.

كاسيو : أفضل أن ألتمس من الناس تحقيرى على خديعة مثل هذا القائد العظيم بأن أعرض عليه أن يستعيد ضابطًا نزقًا سكيرًا قليل الاحتراس فى هذا الحد.

ياجو : أنت وكل حى للسكر فى ساعة ما أيها الصديق. خدعنى الآن ما ينبغى لك عمله. إن امرأة قائدنا هى التى أصبحت قائدنا... لأنه قد انصرف كل الانصراف إلى تمتيع نظره وقلبه بمحاسنها ومكارم أخلاقها... فاذهب إليها وأقرر بذنبك صريحًا والتمس منها بإلحاح وإلحاف أن تعينك على العود إلى منصبك فلا تلبث أن تشفع لك عنده إذ أن سماحة فطرتها تجد من الرذيلة عدم الإجابة إلى أكثر مما يطلب منها.

كاسيو : أسديتنى خير نصيحة.

ياجو : كن واثقًا أنها نصيحة خاوص وحسن نية.

كاسيو : أنا واثق مما تقول وسأذهب من بكرة غد إلى ديدمونه الطاهرة وأبتهل إليها أن تتولى أمرى فإذا لم يسعدنى الحظ مع وساطتها فقدت كل رجاء.

ياجو : إنك لفى المنهاج السوى. طاب ليلك أيها الملازم. يجب أن أسهر فى العسس.

كاسيو : طاب ليلك أيها الصفى ياجو.

ياجو : هل لجرىء أن يزعم أننى أمكر مكرًا سيئًا حين أنصح نصيحة كهذه خالصة صريحة سهلة التحقيق لا وسيلة غيرها لكسر شرَّة المغربى واستعطافه. أو هل أكون غدارًا حيث أشير على كاسيو بالخطة التى توصله تود إلى فائدته؟ إيه يا آلهة سقر متى أراد الزبانية [1] الإيعاز بأشنع الخطايا صوروها فى المبدأ بأبدع الصور السماوية كما أفعل الآن، لأنه بينما ذلك الأبله السليم الطوية يسعى لدى ديدمونه لاستعادة مكانته، وبينما هى تشفع له عند المغربى بقوة، أدس أنا فى أذن عطيل سم الريب فى حقها بما أدخله على قلبه من أن رقتها لكاسيو ليست عن مبرة ولكن عن شغف أثيم. بقدر ما تزداد إلحاحًا فى التماس الرأفة له يزداد تأييدها لسوء الظن بها عند المغربى، وهكذا آخذها فى فخ فضيلتها واستخرج من مروءتها الفخ الذى أوقعهم فيه جميعًا.

---

(١) الشياطين.

(يخرج)

الفصل الثالث

المشهد الأول

[يدخل كاسيو وفصيلة موسيقارين]

كاسيو : أساتذتى اضربوا هنا، وسأكافئكم على ما تجيدون. اضربوا لحنًا مختصرًا لتهنئة القائد بيومه السعيد.

(تعزف الموسيقى)

(يدخل المضحك)

المضحك : مهلاً يا أساتذتى. أذهبت معا معازفكم [1] إلى نابلى [2] فعادت منها بهذه الغنة الأنفية.

موسيقى أول : ما قصدك يا سيدى؟ ما القصد؟

المضحك : هل هذه الآلات آلات هوائية؟

موسيقى أول : طبعًا يا سيدى.

المضحك : هذه نقود أرسلها القائد ويرغب إليكم وديًا أن تكفوا هذه الغوغاء.

موسيقى أول : سنمتنع يا سيدى.

المضحك : إن كنتم تعرفون أنغامًا لا تسمع فاضربوها. أما الموسيقى التى تسمع فالقائد غير مولع بها.

موسيقى أول : ليست عندنا الموسيقى التى تشتهيها.

المضحك : إذن ضعوا زماميركم فى أكياسكم وانطلوا لأننى ذاهب.

تلاشوا فى الهواء تواروا (يخرج الموسيقيون)

كاسيو : أرجو أن تحتبس مهاتراتك عنى. هذه قطعة ذهب ولى إليك رغبة: متى استيقظت السيدة التى تخدم امرأة القائد فقل لها إن رجلاً يدعى كاسيو يود أن تمنحه مقابلتها هنيهة... أتفعل؟

المضحك : لم يمض إلا دقيقة منذ هبطت عن سريرها، وسألقى إليها كلمة لتهبط إلى هذا المكان إن أردت.

كاسيو : أفعل ذلك يا صاحبى العزيز

(يخرج المضحك)

(يدخل ياجو)

كاسيو : ياجو، جئت فى ميقات الحاجة إليك.

---

(١) آلات النفخ الموسيقية.

(٢) بلدة فى إيطاليا.

ياجو : يلوح لى أنك لم تنم.

كاسيو : طلع النهار قبل أن نفترق وقد اجترأت أن أرسل فى طلب امرأتك رجاء أن تلتمس لى موعدًا من الفاضلة ديدمونه.

ياجو : سأبعثها إليك حالاً، وأحاول بقاء المغربى بحيث تملكان الوقت الكافى للتكلم فيما لك من الشأن.

كاسيو : شكرًا لك جزيلاً (يخرج ياجو) لم أعرف قط فيورنتيًّا أمضى فى الخير وأشد وفاء.

(تدخل إميليا)

إميليا : صبحك الله بخير أيها الملازم الكريم. أنا حزينة لما أحزنك، ولكن الأمر سيصلح كما أرجو، والقائد وامرأته يتباحثان فى هذه المسألة. هى تدافع عنك بقوة، وهو يجيب أن الرجل الذى جرحته عالى السمعة فى قبرس وله قربى موشوجة [1] الأعراق بين كبراء الجزيرة فكان لا مندوحة له عن عزلك أو يخطئ الرأى، وإنه ما زال يحبك ولا يحتاج من الوصاة بك إلى ما يوحيه وده، فهو سيغتم أول فرصة تسنح لردك إلى مكانك.

كاسيو : مع هذا أرجو منك إذا كان فى الإمكان أن تهيئ لى اجتماعًا بديدمونه أكلمها فيه على حدة.

إميليا : تفضل وابتغنى أجعلك فى موضع تخاطبها فيه براحة وصراحة.

كاسيو : هذه منة عظيمة.

المشهد الثانى

مسكن فى القصر

[يدخل عطيل وياجو ووجهاء]

عطيل : ادفع هذه الوسائل إلى الملاح يا ياجو وليحمل إلى مجلس الأعيان سلامى. بعد هذا أنا ذاهب للتنزه ومشاهدة أعمال التحصين فمتى عدت فالقنى هناك.

ياجو : سأفعل يا سيدى الكريم.

عطيل : والآن أيها السيدة أنمضى لنرى المعاقل؟

---

(١) منشبعة.

الوجهاء : سمعًا وطاعة. (يخرجون)

المشهد الثالث

فى القصر

[تدخل ديدمونه وكاسيو وإميليا]

ديدمونه : ثق يا عزيز كاسيو أننى سأبذل جهدى لخدمتك.

إميليا : افعلى مشكورة يا سيدتى فإن زوجى شديد التألم لهذا المصاب كأنه مصابه.

ديدمونه : نعم الفتى الوفى! لا ترتب يا كاسيو أننى سأعيد الصداقة بينك وبين قرينى كما كانت قبلاً.

كاسيو : يا سيدتى الكريمة مهما ينته إليه أمر ميشيل كاسيو فإنه إلى آخر الدهر خادمك الأمين.

ديدمونه : أعتقد هذا وأحمدك عليه. أنت تحب مولاى وتعرفه من عهد طويل، فلا تحسب أنه يدعك مقصيًا عنه إلا مهلة ما تقتضيه السياسة.

كاسيو : أجل يا سيدتى ولكن هذه السياسة قد يطول أجلها، وقد يتخللها من المعاذير التفاهة الأسباب والارتباكات التى يجىء بها تحول الأحوال مدة انصرافى عن منصبى وحلول غير محلى، ما ينسى قائدى خلوص حبى له وسوابق خدمى.

ديدمونه : لا تداخلك هذه الخشية. أضمن لك منصبك بشهادة إميليا وأيقن أننى متى وعدت وعدًا وديًا وفيت به إلى آخر حرف منه. سأظل ملحة على مولاى مكررة لديه التماسى حتى أرده عن جماحه، بل سأجعل فراشه شبه مدرسة، ومائدته شبه خلوة للاعتراف ،وأدخل فى كل مشاغله طلب كاسيو، ذلك لأن محاميك يؤثر الموت على ترك قضيتك.

إميليا : سيدتى هذا سيدى قادمًا.

كاسيو : سيدتى إذنك بالانصراف

ديدمونه : امكث واسمع ما أقوله له.

كاسيو : الآن لا، يا سيدتى، لأننى فى أشد الانزعاج وغير كفء لخدمة مصلحتى.

ديدمونه : افعل ما تستصوب. (يدخل عطيل وياجو)

ياجو : أف ما أحب هذا.

عطيل : ماذا تقول؟

ياجو : لا شىء يا سيدى.. أو.. لا شىء.

عطيل : ألم يكن كاسيو هذا الذى فارق امرأتى الساعة؟

ياجو : كاسيو يا سيدى؟ يقينًا لا، ما أظن... لو كان هو ما فر فرار المجرم حين رآك مقبلاً.

عطيل : أظنه إياه.

ديدمونه : كنت يا سيدى أخاطب ذا حاجة. رجلاً حزينًا فى الغاية لانصرافك عنه.

عطيل : من تعنين؟

ديدمونه : ملازمك كاسيو، أى سيدى لئن كانت لى حُظْوة فى عينيك وقدرة على استعطافك إن رجائى أن تتفضل عليه وتصفح عنه لأنه رجل صادق الحب لك. وإنما أخطأ عن جهل لا عن عمد وإلا خابت فراستى فى وجوه الأوفياء. أبتهل أن تعيده إلى منصبه.

عطيل : أهو الذى كان منصرفًا من هنا؟

ديدمونه : نعم هو. وكان كئيبًا كآبة تركت فى نفسى أثرًا من حزنه وشطرًا من ألمه. يا حبيبى ناشدتك غرامنا إلا ما أرجعته.

عطيل : الآن لا، يا ديدمونتى الرقيقة، ولكن فى وقت آخر.

ديدمونه : أيكون هذا الوقت الآخر قريبًا؟

عطيل : أقرب ما يكون إكرامًا لك يا عزيزتى.

ديدمونه : أعلى العشاء الليلة؟

عطيل : الليلة؟ لا.

ديدمونه : أغدًا الظهر؟

عطيل : لن أتعدى فى البيت غدًا لأننى سألحق بالضباط إلى القلعة.

ديدمونه : إذن غدًا مساء أو الثلاثاء ظهرًا أو الأربعاء صباحًا.. أتوسل إليك أن تعين الميقات ولا يزد عن ثلاثة أيام.... إنه وذمتى لنادم على خطيئته وهى فى رأى الأكثرين ليست من الخطايا التى تستلزم أدنى ملام إلا إذا صدقت قاعدة القائلين بأنه يجب فى الحرب تأديب الأَمْثَلَيْن ليعتبر سواهم بهم. متى يعود؟ قل لى يا عطيل، إننى لأسائل ضمير عن شىء تطلبه منى ولا أجيبك إليه أو أتردد فى الإجابة. عجبًا أميشيل كاسيو الذى كان أمين سرنا فى غرامنا وكان يدافع لدى عنك حين أذكرك بغير ما يعجبه ينبغى لى أن اشفع له بكل هذا الإلحاف لتصفح عنه... ما كان أسرعنى لإجابتك إلى أقصى الرغائب لو بدت لى منك إشارة.

عطيل : كفى وحياتك... ليعد حين يشاء... لا أمنع لك سؤلاً.

ديدمونه : على أن عوده لا يعد إحسانًا مذكورًا. سألتك إياه كما أسألك أن تلبس

قفازيك [1] أو تتغذى بطعام أو تستدفئ من برد أو تفعل أى فعل يفيد صحتك، لكن علمت الآن أننى إذا جدت لى عندك أمنية كانت تلك الأمنية عظيمة الشأن صعبة التحقيق.

عطيل : لن أرد لك أمنية فكونى متفضلة وامنحينى هنهة أخلو فيها بنفسى.

ديدمونه : أكنت رادة لك أمرًا. لا... إلى الملتقى يا مولاى.

عطيل : سأوافيك من غير إبطاء.

ديدمونه : تعالى إميليا. افعل ما يوحيه إليك الضمير. مهمًا تشأ فإننى خاضعة.

عطيل : يا لها من شاطرة آخذه بالألباب. أحبك لو سامنى حبك عذاب الآخرة. فإذا انصرفت عن هواك يومًا... فهنالك تعاودنى الفوضى والظلمات.

ياجو : أى مولاى الشريف.

عطيل: : ماذا تقول ياجو؟

ياجو : أكان ميشيل كاسيو يعرف غرامكما.

عطيل : عرفه من مبدئه إلى نهايته. لم هذا السؤال؟

ياجو : إرضاء لفكرى لا لشىء آخر ذى بال.

عطيل : وما فكرك؟

ياجو : كنت لا أتخيل أنه يعرف ما دار بينكما.

عطيل : بلى وكان يتوسط بيننا أحيانًا.

ياجو : أحقًا؟

عطيل : أحقًا؟ نعم حقًا. ما ترى تحت هذا؟ أليس وفيًا؟

ياجو : وفى يا مولاى.

عطيل : وفى. بل وفى.

ياجو : وفى يا سيدى إلى غاية ما أعلمه.

عطيل : صرح عما فى ضميرك.

ياجو : عما فى ضمير يا مولاى؟

عطيل : عما فى ضميرى يا مولاى، بالله إنه ليجيبنى كرجع الصدى كأن فى طويته شيئًا أبشع من أن يكشف عنه النقاب... تضمر أمرًا ولا تبديه. ولقد سمعتك تقول: "أف ما أحب هذا" عندما كان كاسيو يفارق امرأتى. ثم لما أخبرتك أنه كان مطلعًا على أسرار غرامنا سبق لسانك فكرك وقلت: "أحقًا"

---

(١) ما يكسى به الكفان لاتقاء البرد.

ثم انقبضت أهداب عينيك وتضامت كحوافى الكيس كأنك أردت أن تخبؤ فى دماغك سرًا رهيبًا. إن كنت لى محبًا فكاشفنى بما تضمر.

ياجو : مولاى تعلم أننى لك محب.

عطيل : أعتقد ودك وبقدر ما أعرف من أنك مفعم ولاءً ونزاهة وأنك تزن كلماتك قبل النطق بها فتوقفاتك فى الحديث أشد موقعًا منى لأن أمثال هذه المحاذرات إنما تكون مراوغات مألوفة عند اللئيم الخبيث الكذوب كما أنها تكون عند الرجل الصالح مكاشفات مبرقعة تخرج من صدر لم يملك تأثيره.

ياجو : أجرؤ على الإقسام بأن ميشيل كاسيو وفى كما أعتقد.

عطيل : وكذلك أعتقده.

ياجو : كان يجب أن يكون الناس كما تتبئ عنهم ظواهرهم. بل ليت الذى خلقهم لم يجعل للمنافقين أشباهًا.

عطيل : يقين أن الرجال يجب أن يكونوا كما تتبئ عنهم ظواهرهم.

ياجو : ولهذا أظن أن كاسيو صادق الولاء.

عطيل : لا. عندك ههنا أكثر مما تبوح به. فرجائى أن تظهر لى خواطرك كما تجيلها فى خفائك وأن تُلْبِس القبيحة منها أقبح الألفاظ.

ياجو : عفوك يا سيدى الكريم أنا مكلف كل عمل قويم تقتضيه الطاعة ولكننى غير مكلف ما أعفى منه الأرقاء. أإظهارًا لضمائرى وقد يكون منها ما هو دنىء ومنها ما هو زور؟... أى قصد لا تدخله بعض المكاره فى بعض الآونة؟ وهل فى الناس من طهر قلبه حتى لا تداخله الريب المستهجنة وتعقد فيه أحيانًا محاكمها القانونية بجانب الأفكار النقية؟

عطيل : ياجو إذا ظننت أن صديقك مهان ولم تطلعه على ما فى طويتك فأنت من المتآمرين عليه.

ياجو : قد يكون ظنى إثمًا وأقرّ بين يديك أن من طبيعتى الرديئة إساءة الظن واختلاق خطايا قد لا تكون.. فأتضرع إليك أن تصون حكمتك عن الأخذ بمزاعم رجل كثير الخطل فى تصوره وأن تبنى صرحًا من الأوهام المزعجة على أساس غير متين من ملاحظاته الناقصة فلا فائدة لك من جهة اطمئنانك وصفائك ولا لى من حيث شرفى الرجلى ونزاهتى وعقلى أن، تتطلع على خفايا فكرى .

عطيل : ما مرادك هذا؟

ياجو : حسن السمعة للرجل والمرأة يا سيدى العزيز أثمن جوهرة من حلى النفس.

من يسرق كيس نقودى يسرق شيئًا زريًّا كان لى وأصبح له وكان قبلنا لألوف آخرين أما الذى يسرق حسن سمعتى فمختلس شيئًا لا يغنيه ويجعلنى فقيرًا جهد الفقر.

عطيل : وأيم السماء لأعرفن أفكارك.

ياجو : لن تعرفها ولو كان قلبى فى يدك فهل تصل إليها وذلك القلب فى حراستى؟

عطيل : آهًا.

ياجو : أى مولاى احذر الغيرة. تلك الخليقة الشرهاء ذات العيون الخضراء التى تسخر مما تتغذى به من لحوم الناس. الرجل الذى يتلم عرضه فيعرف مصابه ويكره جالبه عليه سعيد، سعيد بجانب ذلك الذى يقضى الدقائق الجهنمية شغفًا، إلا أنه مستريب. عاشقًا أشد العشق، ولكن تساوره الشكوك.

عطيل : يا للشفاء.

ياجو : الفقر مع القناعة غنى بلا جاه عريض. أما النعم التى لا تحصى فتكون فقرًا عقيمًا عقم الشتاء البارد الذى يخشى أبدًا أن يصبح معسرًا. اللهم ياذا الراحم أعف من الغيرة نفوس أمثالى.

عطيل : لمَ لمَ كل هذا؟ أنظن أننى سأعيش هذه العيشة مغيرًا ظنونى كلما تغير هلال. كلا. متى نفذ الريب ثبتت النفس على حالة معه. تبدل منى بتيس فظيع يوم أدع نفسى بين أيدى الشبه التى تحدثها كل دسيسة. أنا لا تستفز غيرتى بأن يقال لى إن امرأتى جميلة وإنها لطيفة المحاضرة وإنها تحب المعاشرة وإنها طليقة النفس فى أحاديثها وتغنى وتلعب وتحسن الرقص. كل هذه الأفعال تكون فاضلة متى كانت المرأة فاضلة. ثم إننى من جهة أخرى لا أخشى أدنى خشية منها ولا يخالجنى أيسر ظن سىء بها من جهة أننى فاقد المحاسن لأنها إنما اختارتنى ولها عينان مبصرتان نظرتنى بهما. لا لا.... وما أنا بمرتاب حتى أرى فإذا ارتبت فحتم أن أثبت مما يداخلنى من الظنون وإذا وضح لى البرهان بعد ذلك فيومئذ فراقًا خالدًا إما للحب وإما للغيرة.

ياجو : يسرنى عزمك هذا بأنه يمكننى الآن من توكيد حبى لك وتجلتى. وعليه يقتضينى الواجب أن أقدم إليك نصيحة – وبعدها يجىء وقت البرهان – راقب جيدًا ما يكون من امرأتك ومن كاسيو... استعمل عينيك من غير

إساءة ظن، إذ لا أحب أن تتخدع فطرتك الشريفة الحرة بسماحتها. أنا عليم بطبائع بلادى، والنساء فى البندقية يظهرن من أحوالهن على مشهد من الملأ مالا يجرؤن أن يظهرنه لبعولتهن فالذمة عندهن لا أن يمتنعن عما يشتهين ولكن أن يخفينه.

عطيل : أجد ما تقول؟

ياجو : غشت أباها بتزوجها منك ولم تكن أشد هيامًا بك منها حين كانت ترتجف مهابة من نظراتك.

عطيل : هو حقيقة ما بدا لى منها.

ياجو : فعليك والحالة هذه أن تستتبع القياس العقلى: إن التى استطاعت وهى فى أنضر الصبا أن تخفى ما بها عن أبيها إخفاءً تركت معه عينيه أشد إقفالاً من لباب السِّند يانة... التى غافلته حتى اتهم بها السحر... صفحًا يا سيدي... إنى لملوم وإياك أستغفر عن فرط هذا الخلوص فى ولائى لك.

عطيل : لن أنسى لك هذه المنة مدى الدهر.

ياجو : ألمح أن كلماتى قد شغلت من بالك.

عطيل : البتة...

ياجو : بل أجد أنها نالت منك وأحزنتك بغير ما قصدته منها وإنما أنطقنى بها الولاء، لكن أراك واجمًا [1] فيتعين على أن ألتمس منك أمرًا وهو أن لا تعطى تلك الكلمات معنى أبعد ونتيجة أوسع مما يعطاه مجرد الريب.

عطيل : سأفعل.

ياجو : إذا تماديت فى التأويل يا سيدى أصابت أقوالى من المرمى مالا أحبه. إن كاسيو لصديقى. أى مولاى أراك مضطربًا.

عطيل : بعض الشىء. أعتقد أن ديدمونه عفيفة على كل حال.

ياجو : أطال الله بقاءها وهى كما تعتقد وأطال بقاءك على هذا الظن الحسن بها.

عطيل : غير أن الطبيعة قد تضل السبيل.

ياجو : وهذا هو محور المسألة وبناءً عليه أزداد جرأة معك فأقول إن فى امرأة تأبى من يعرض عليها من الخطاب المتعددين الذين هم من بلادها ولونها ومقامها مع أن الطبع يدفعها إلى إيثار أمثالهم، لدليلاً على نفس فاسدة وميول غير متناسبة وأفكار مخالفة للفطرة. لكن سامحنى فما أذكر هذا

---

(١) شديد الحزن مع سكون.

لأخصها به غير أننى أخشى أن تراجعها نفسها مراجعة يتلخص فيها رأيها من أسباب الهيام فتقابل بينك وبين أبناء موطنها فتندم.

عطيل : انصرف بسلام وإذا رأيت شيئًا بعد فزدنى علمًا ولترقب امرأتك ما يكون. إليك عنى [1] الآن.

ياجو : مولاى أستأذن. (يتظاهر بالانصراف)

عطيل : ما الذى حملنى على الزواج، هذا الإنسان الوفى يرى ويعلم بلا مراء أكثر مما يبدى.

ياجو (متراجعًا) : مولاى أود لو أن ذاتك المبجلة لا تتعمق فى تنقيب هذه المسألة بل تدع ذلك للوقت إذ أن الوقت يظهر المخبآت بأدق مهارة. ومع ذلك إذا بدا لك أن تبقى الرجل مقصيًا إلى حين، تسنى أن تستبطن سرائره وتعرف وسائله. ثم انظر ما إذا كانت امرأتك تلح لإرجاعه بشدة وحماسه. ففى هذه الأحوال ما فيها من الأدلة. ومهما يكن مما أسلفته فاجعل أساس الرأى أننى أفرطت فى الحرص عليك إفراطًا هو من معايبى، هذا مع التضرع إلى ذاتك المبجلة بأن تعتدها بريئة.

عطيل : أثق أننى سأمتلك نفسى.

ياجو : أستأذن مرة ثانية (ينصرف)

عطيل : هذا الفتى وفى النهاية ويستكشف يفكر نير جميع الطوايا البشرية. لو كانت تلك المرآة بازيًا [2] عالقة به ألياف قلبى لأطلقته وتركته تحت العواصف يبحث عن صيد يتصيده. لعلها مالت إلى غيرى لأننى أسود وليس فى كلامى من الرقة والتزويق ما فى كلام أولئك المتحذلقين المختلفين إلى القصور أو لأننى فى أول مهبط السنين على كون هذا التقدم فى السن لا يظهره شىء منى. لقد انفصلت عنى وخدعتنى ولم تبق لى تعزية إلا أن أبغضها – أواه من خيبة الزواج – أنتوهم أننا مالكون لهذه الخلائق الضعيفة حيث لا سلطان لنا إلا على شهواتها؟ لأوثر أن أكون صرصارًا يعيش من أبخرة السجن على ترك جزء من الشىء الذى أحبه لمتاع الآخرين. ولكن من ههنا تنبعث اللعنة التى يعيش فيها الكبراء فهم أسوأ حظًا من السوقة، كأن الإصابة بالعرض قد حتمت عليهم تحتيم الموت.

---

(١) ابتعد عني.

(٢) الطائر الصياد.

ويلاه من ذلك الخطب الناطح بقرنيه الذى يقدر علينا منذ الميلاد. هذه ديدمونه آتية. لئن كانت غادرة لقد آمنت أن السماء تسخر من نفسها. لا. لا أعتقد فيها الغدر.

(تعود ديدمونه وإميليا)

ديدمونه : بحياتك ماذا يجرى أيها العزيز؟ إن ضيوفك من أعيان الجزيرة لمنتظروك والغذاء مهيأ.

عطيل : على الملام.

ديدمونه : ما لك تتكلم بهذا الصوت الضعيف. أتشعر بألم؟

عطيل : عندى ألم فى الجبين هنا.

ديدمونه : هذا من فرط السهر ولكن سيزول حالاً. دعنى أعصب رأسك بشدة وبعد ساعة تكون معافى.

عطيل : إن منديلك لأصغر من أن يعصبنى (ينزع المنديل عن رأسه فيسقط إلى الأرض ولا تتنبه له ديدمونه) خلى عنك هذا. تقدمى وأنا متبع.

إميليا : بى حزن من ألمك (يخرج عطيل وديدمونه) إنى فرحة بوجد ان هذا المنديل هو أول تذكار أهداه المغربى إليها وزوجى الغريب الأطوار قد لاطفنى كثيرًا وسألنى أن أسرقه له. غير أنها تحب هذه الهدية حبًا جمًا. لأن عطيلاً أوصاها ملحًا بالاحتفاظ بها أبدًا، ولهذا هى تحملها بلا انقطاع وتقبلها وتخاطبها. سأستصنع منديلاً على هذا المثال فأعطيه. ياجو ليعمل به ما يشاء مم يعلمه الله ولست أعلمه وغاية مرامى إنما هى إجابة سؤله

(يعود ياجو)

ياجو : ماذا وقوفك هنا منفردة؟

إميليا : لا تعنفنى. عندى لك شىء ما.

ياجو: : شيء لى. إنه لشىء شائع.

إميليا : أواه.

ياجو : شائع أن تكون للرجل امرأة حمقاء.

إميليا : أهذا كل ما عندك؟ ماذا تعطينى بدلاً من هذا المنديل؟

ياجو : أى منديل؟

إميليا : أى منديل!! ذلك الذى كان أول هدية من المغربى لديدمونه والذى طالما سألتنى أن أختلسه.

ياجو : أسرقته؟

إميليا : لا وإنما سقط منها سهوًا بحضورى فالتقطته وها هو ذا. أنظر.

ياجو : نعم ابنيه أنت! أعطنى إياه.

إميليا : ما تنوى فعله به وقد ألححت على ذلك الإلحاح باختلاسه؟

ياجو (مختطفًا منها المنديل) : أيعنيك هذا؟

إميليا : إذا لم يكن منه مقصد ذو بال فأعده لى فإن تلك السيدة المسكينة سيصيبها مس إذا فقدته فلم تجده.

ياجو : احذرى أن يظن بك وأنا فى حاجة إليه. اذهبى ودعينى (تخرج إميليا) سأطرح هذا المنديل فى مسكن كاسيو بحيث يجده. أمثال هذا الشىء التافه أفعل فى الغيور من تحقيقات الكتب المقدسة وربما جر هذا المنديل أمرًا. المغربى آخذ بالتغير من تأثير سمى على أن العقاقير الخطرة هى بطبيعتها سمام أو طمعها غير كريه، ولكن متى ابتدأ فعلها فى الدم أحرقت إحراق مناجم الكبريت.. ها هو ذا قادم، لا الخشخاش ولا غيره من المرقدات القوية يعيد إليك بعد الآن المنام الهادئ الذى كنت تنامه أمس

(يعود عطيل)

عطيل : أها أها، أجدها توراينى.

ياجو : حسبك يا سيدى لا تفكر فى هذا بعد.

عطيل : وراء إليك عنى. لقد مددتنى على خشب التعذيب. أقسمت أنه خير للإنسان أن يخدع كثيرًا من أن يعلم بخديعته قليلاً.

ياجو : ما بك يا مولاى؟

عطيل : أى إحساس كان يخامرنى فى تلك الساعات الغرامية التى خالست بها النعيم. لم أكن لأظن هذه الظة ولا لأخطرها على بالى وكنت لا أتألم. فى الليلة المنصرمة نمت مستقرًا وبى فرح وسكينة فكر ولم استكشف على شفتيها قبل كاسيو. لا ينبغى إبلاغ الذى سرق له شىء أنه سرق فإذا لم يفتقده فكأنه لم يختلس منه شىء البتة.

ياجو : يحزننى ما أسمعه

عطيل : لكان يسرنى أن يتمتع الجنود كلهم ومعهم أعوانهم الصبيان بجسمها الرقيق على أن لا أعلم. أما الآن ففراقًا أبديا لراحة النفس. فراقًا للسرور. فراقًا للكتائب التى تزدهى خوذها بالريش الناصع. وللحروب الكبيرة التى تجعل الطمع فضيلة. أواه. فراقًا للخيل الصاهلة وللبوق العزاف وللطبل الذى

يشب حرارة النفس وللمزمار الذى يصفر فى الأذن وللرايات الملكية ولسائر الأشياء التى تنجم عنها الكبرياء والعظمة والمفاخر الحربية. وأنت أيتها الآلات المهلكة التى تحاكى بالإرعادات الخارجة من أفواهها الهَدَّادة صيحات النشور وداعًا وداعًا إن حياة عطيل قد انتهت.

ياجو : أهذا ممكن يا مولاى؟

عطيل : أيها النمام الواشى جئنى بما يثبت أن حبيبتى مومس... لا تبطئ. أرنى بعينى وإلا (يقبض على عنقه) حلفت بقيمة النفس الخالدة ليكوننَّ خيرًا لك أن تكون مخلوقًا كلبًا من أن تلقى هبة رجزى.

ياجو : أوصلت الأمور إلى هذا الحد؟

عطيل : أرنى بعينى أو أيد لى برهانك بحيث لا يفوتك ذكر جزئية أو حالة مما يعلق به الريب وإلا فتبًا لحياتك.

ياجو : أى مولاى الشريف.

عطيل : إن كنت قد فعلت لتسىء ظنى بها وتعذبنى فلا تُصَلِّ بعد الآن بتاتًا. أخرج عن إنسانيتك بالمرة. راكم فظائع فوق فظائع. ارتكب جرائم تبكى منها السماء وتقضى لها الأرض عجبًا لأنك لا تستزيد فى يوم الله شيئًا على ما ستناله من العقاب الذى يفوق كل هذا.

ياجو : يا لرحمة الله. يا للسماء سامحينى. هل أنت رجل – هل لك نفس أو إحساس. أعانك الله. أقلنى من خدمتى. ويحى من حقير أبله جعل وفاءه ذنبًا له. ويل لهذه الدنيا الخؤون. أعلمى اعلمى يا دنيا ما أخيب الأمانة، وما أعذر الاستقامة – حمدًا لك على هذه العظة وأبى الله بعدها أن أحب حبيبًا ما دام الولاء جلابًا لمثل هذه المهانات.

عطيل : لا، أقم، كان يجب أن تكون وفيًا.

ياجو : كان يجب أن أكون حكيمًا لأن الأمانة حمقاء ومضيعة للمثوبات.

عطيل : والعالمين إننى لأعتقد طهارة امرأتى ثم لأعتقد أنها غير طاهرة. بل أظن أنك صادق ثم أظن أنك غير صادق ، لابد لى من برهان، إن اسمها كان أنصع من وجه ديانا فأصبح الآن أقتم أسود كوجهى – لئن كان فى الدنيا حبال. خناجر. سموم. نار. أنهار تغرق فلست بمحتمل هذا. ما أظمأنى إلى ترضية نفسى.

ياجو : أجد يا سيدى أن الغرام يغولك وأندم على ما ألحقته بك من الأذى، أفتريد البرهان؟

عطيل : أأريد؟! نعم أريد.

ياجو : ذلك إليك. ولكن كيف تريد أن أجيئك بهذه الترضية يا سيدى. أتبتغى منى شاهدًا يقف جامدًا مفتوح الفم يتفرس فيها وهى مع الرجل.

عطيل : موت وهلاك. أواه.

ياجو : يصعب علينا فيما أظن أن نحتال عليهما بحيث يؤخذان على الشكل بل من المستحيل أن يراهما على فراش واحد غير الشيطان. وعلى هذا... فما تكون الترضية حيث لا يحتمل أن يظهر لأحد بها المظهر ولو كانا أفسق من تيسين وأحمى من فردين وأشد قحة فى البهيمية من ذئبين وأقل احتراسًا وحذارًا من غبيين مخمورين. أما إذا كان الاستنتاج من وقائع واضحة الدلالة موصلة إلى أبواب الحقيقة كافيًا لما تشاء من الترضية فالترضية بين يديك.

عطيل : أعطنى برهانًا حسيًا أنها زانية

ياجو : قبحت من خدمة. ولكن بما أننى جريت هذا الشوط البعيد فى المكاشفة مندفعًا بدافع الجنون الذى ابتلتنى به الصداقة والنزاهة فإننى لأزيدك بيانًا. كنت بائتًا منذ ليال مع كاسيو وبى ألم فى الأسنان أرقنى لشدته فلما انقضى الهزيع الأول تبينت أن كاسيو يرى حلمًا. ومن الناس أفراد خلقت نفوسهم على غير الكتمان فيذكرون شؤونهم فى منامهم.... ومنهم صاحبى.. سمعته يقول وهو مستغرق فى رؤياه: "حبيبتى الجميلة ديدمونه لنكن حذرين ولنخف غرامنا"... وحينئذ يا سيدى أمسك بيدى يشدها ويصيح: "يا لك من حسناء شهية" ثم طفق يلثمنى بقوة كأنه كان يود أن يقتلع القبل النابتة على شفتيها من أصولها ثم ألقى بساقه على فخذى وتنهد واعتنقنى ثم صاح: "لعن الله الحظ الذى وهبك للمغربى"

عطيل : فظيع فظيع...

ياجو : لم يكن إلا حلمًا...

عطيل : بل ولكنه جاء دليلاً على شىء تم سابقًا، وإنه لدليل قاطع على كونه منامًا.

ياجو : وبه تتعزز البراهين السالفة التى تظهر واهية.

عطيل : سأمزقها تمزيقًا.

ياجو : بلا ريب ولكن كنت متئدًا إذا أننا لم نر بعد أمرًا تم وقد تكون عفيفة. بقى أن تقول لى شيئًا ذا بال. ألم تر قط فى يد امرأتك منديلاً عليه رسم

الشليك.

عطيل : أعطيتها منديلاً بهذا الرسم وهو أول ما أهديته إليها.

ياجو : أول ما أهديته إليها أو آخره ولا أعلم. غير أننى رأيت منديلاً من هذا الشكل – وأعتقد أنه لها – بيد كاسيو وكان يمسح به لحيته فى هذا الصباح.

عطيل : إن كان هو منديلى...

ياجو : إن كان هو الذى تعنيه أو آخر مما تملكه ففيه ما ينطق بذنبها تعزيزًا لما تقدم من البراهين.

عطيل : ويلاه. علام لا يكون لذلك الشحاذ أربعون ألفًا من الأعمار. إن عمرًا واحدًا دون الكفاية لانتقامى. الآن تبينت أنها فى الحق زانية... انظر ياجو، هذه نفخة أصعد بها إلى السماء ذلك الغرام النارى، لقد ذهب.يا أيها الانتقام المدلهم ارتفع من أعمال جهنم، ويا أيها الحب تنازل لاستبداد الغضب. عن تاجك وعرش قلبى، ويا أيها الصدر ارزح تحت حملك فإنما حملك من ألسنة الأفاعى.

ياجو : لابد لك من التمالك.

عطيل : دمًا دمًا دمًا.

ياجو : تحمل، تجلد، وربما تغيرك شعورك.

عطيل : لن يتغير... أعرفت كيف تجرى التيارات القارسة الجامحة من مبعثها فى بحر البنط [1] إلى مستقرها فى بحر الظلمات لا يردها الجزر بل تنطلق إلى غايتها فى منهاج قويم كذلك عزائمى النضاحة بالدماء قد اندفعت إلى الأمام بقوة ولن ترجع إلى الوراء، لن تعود إلى حمتى ذلك الغرام الوديع، بل تستمر فى سيرها حتى تغور جميعها فى انتقام عظيم على قدر الإهانة. الآن وجب على بحق تلك السماء المرمرية التى أراها هناك أن أثبت وعيدى بحيث أجعل تحقيقه خروجًا من يمين مقدسة (يجثو)

ياجو : لا تنهض (يجثو أيضًا) اشهدى أيتها الأنوار التى تتأجج فى عل سرمدًا وأنت أيتها العناصر المحيطة بنا من كل جانب، اشهدى أن ياجو يستخدم لإنصاف عطيل مما لحق به من العار عقله وقلبه ويده، ليأمر عطيل

---

(١) خص هذا البحر بالذكر لأن تياراته تندفع ولا تعود.

ومهما يكن ما يكلفنى إياه عملاً دمويًا موبقًا فإننى لفاعله بعقيدة أنه فعل وفاء ورحمة.

عطيل : أتلقى هذا العهد الودى منك لا بكلمات شكر فارغة بل بقبول حسن من قلبى. وإنى لمختبر قسمك حالاً.. أخبرنى إلى ثلاثة أيام إن كان كاسيو قتل.

ياجو : لقد هلك صاحبى وهو أمر مقضى بناء على إشارتك ولكن لتعش هى.

عطيل : لتفترسها النار، تلك البغى الخبيثة. لتفترسها النار. تعال معى إلى مكان ننفرد فيه لأبحث عن ميتة سريعة لتلك الجنية الجميلة. كن ملازمى منذ الساعة.

المشهد الرابع

تجاه القصر

[تدخل ديدمونه وإميليا والمضحك]

ديدمونه : أتعلم يا هزأة أين مسكن كاسيو؟

المضحك : لا أجسر أن أقول إن له مسكنًا.

ديدمونه : لم أيها الصاحب؟

المضحك : لأنه عسكرى ومن قال لعسكرى إن له مسكنًا تعرض لخنجره.

ديدمونه : غريب! وأين يقيم؟

المضحك : لو أخبرتك أن يقيم لأخبرتك أين أكذب.

ديدمونه : أيمكن تصيد معنى الكلمات؟

المضحك : لا أعلم أين يقطن فإذا اخترعت له مسكنًا عددت ذلك افتراءً خارجًا من حلقى.

ديدمونه : أتستطيع السؤال عنه ومعرفته؟

المضحك : سأذهب بشيرًا ونذيرًا فى شأنه بمعنى أننى سألقى أسئلة على الناس ثم أجيبك بما يقولون.

ديدمونه : ابحث عنه، مرة أن يحضر، قل له إننى شفعت فيه لدى مولاى وأرجو أن تقضى حاجته.

المضحك : فعل هذا مما قد يسعه عقل الإنسان ولهذا سأحاوله

(يخرج)

ديدمونه : أين تظنين أننى فقدت هذا المنديل يا إميليا.

إميليا : لا أدرى يا سيدتى.

ديدمونه : كان أهون على أن أفقد كيس نقودى ملآن قطعًا ذهبية من فقده لأنه لو لم يكن سيدى الشريف عادل الضمير خليًا من دناءات الغيرة لكان ذلك مما يثيره عند الظنون السيئة.

إميليا : أليس غيورًا؟

ديدمونه : من..؟ هو..؟ أظن الشمس التى ولد تحتها أجفت عنده أمثال هذه الوبالات.

إميليا : انظرى. ها هو ذا مقبل.

ديدمونه : سأعيد الكرة عليه الآن ولست تاركته حتى يصفح عن كاسيو

(يدخل عطيل)

ديدمونه : كيف حالك يا سيدى؟

عطيل : على المرام يا سيدتى الكريمة. ما أصعب المراءاة. وكيف أنت يا ديدمونه؟

ديدمونه : كما تحب يا سيدى.

عطيل : هاتى يدك. هذه اليد نضيرة يا سيدتى.

ديدمونه : لم تشعر بعد بالسنين ولا بالحزن.

عطيل : تدل على قلب غنى وسمح، يدك دافئة. دافئة ونضيرة .ما أحوجهما إلى الحجب فى دير والصيام والصلاة وضروب كثيرة من أعمال التوبة والتقى ذلك لأن هناك شيطانًا فتيًا سريع العرق قريب الثوران. إنها ليد طيبة وحرة.

ديدمونه : يحق لك تقريظها لأنها هى التى أعطتك قلبى.

عطيل : كرم بها من يد. قبلاً كانت القلوب تعطى الأيدى أما الاصطلاح الحادث الآن فأن تعطى الأيدى القلوب.

ديدمونه : لا كلام عندى فى هذا المعنى فلأسلك عما أنت فاعل بوعدك

عطيل : أى وعد يا دجاجتى؟

ديدمونه : أرسلت أستدعى كاسيو لقائك.

عطيل : بى زكام عنيف ثقيل يزعجنى. أعيرينى منديلك.

ديدمونه : ها هو ذا يا سيدى.

عطيل : أريد الذى أهديته إليك.

ديدمونه : ليس معى.

عطيل : لا...

ديدمونه : لا يا سيدى.

عطيل : هذه غلطة. إن ذلك المنديل وهبته امرأة مصرية لأمى وكانت تلك المصرية ساحرة تكاد تعرف ضمائر الناس. قالت لأمى وهى تدفعه إليها :إنه يجعلها محبوبة، ويخضع لها غرام أبى ما دامت محتفظة به. فإذا فقدته أو أهدته فعين أبى تنصرف عنها انصراف بغضاء، ونفسه تتحول إلى البحث عن سواها. ولما حضرت أمى الوفاة أعطتنيه وأوصتنى إن تزوجت أن أمنحه لحليلتى وهكذا فعلت. فأرغب إليك فى استبقائه وصيانته وأن تحببه كحدقة العين الثمينة لأنه إذا فقد كان فقده خسارة لا تستعاض.

ديدمونه : أيعقل هذا؟

عطيل : بل هو الحقيقة لأن فى نسيجه سحرًا وما نسجته إلا عرافة شهدت دوران الشمس مئتى مرة. أما الديدان التى أخرجت حريره فقد كانت مرقية أيضًا. وأما الحرير فقد صبغ بعصير المومياات مستقطرًا من قلوب العذارى ومصونًا بعناية العلماء.

ديدمونه : أهذا صحيح؟

عطيل : غاية فى الصحة وعليه أوصيك بالحرص كل الحرص على ذلك المنديل.

ديدمونه : إن كان ما ذكرت فليتنى لم أره قط.

عطيل : لماذا؟

ديدمونه : ما بالك تتكلم هكذا بعجلة ووجيف [1].

عطيل : أفقد؟ أأضعته؟

ديدمونه : رعانا الله.

عطيل : ما ردك؟!

ديدمونه : لم أضلله ولكن لو حدث ذلك...

عطيل : كيف تقولين؟!.

ديدمونه : أقول لم يضع.

عطيل : جئينى به الآن فأراه.

ديدمونه : سأفعل يا سيدى ولكن بعد الآن. إنما هى حيلة ابتدعتها لعدم إجابة التماسى. أكرر توسلى إليك يا سيدى أن تغفر لكاسيو.

عطيل : اذهبى وأحضرى لى المنديل – تاه فكرى.

ديدمونه : دع عنك هذا إنك لن تجد رجلاً أكفأ منه.

عطيل : المنديل....

ديدمونه : رجل وقف سعده من أول عمره على صداقته لك وشاطرك الأخطار...

عطيل : المنديل.

ديدمونه : حقيقة إنك لتلام.

عطيل : إلى الوراء. (يخرج)

إميليا : أليس هذا الرجل غيورًا؟

ديدمونه : لم أر فيه قبل الآن شيئًا من مثل هذا. لابد أن يكون فى ذلك المنديل سر عجيب وإننى لشقية بأننى فقدته.

---

(١) ارتجاف مع انقباض.

إميليا : جرت العادة أن يكون الرجال بعد سنة أو سنتين من الزواج كما هو الآن. إن هم جميعًا إلا معد وإن نحن جميعًا إلا غذاء يأكلوننا بنهم فإذا امتلأوا تقاؤونا.

انظرى هذا كاسيو وزوجى.. (يدخل كاسيو وياجو)

ياجو : لا وسيلة غيرها وهى وحدها التى يجب أن تتقذك. ما أسعد طالعك ها هى ذى. اذهب إليها وألحف.

ديدمونه : واهًا يا صديقى كاسيو ما عندك من النبأ عن شأنك؟

كاسيو : أنا لا أزال على التماسى الأول يا سيدتى، أبتهل إليك أن تشفعى لى بما فطرت عليه من الرحمة لأعيش وأعود إلى صداقة الرجل الذى أجله كل الإجلال. ثم بودى أن أعرف مصيرى معه فى اقرب وقت، فإذا كانت هفوتى من الهفوات التى لا تغتفرها لى خدمى السابقة وندامتى الحاضرة وإخلاصى الذى أنويه للمستقبل فليكن آخر إحسان منك أن تشعرينى بذلك فأقبل بما قسم لى على كره منى وأختط لنفسى خطة أخرى تاركًا مآلى بين أيدى الأقدار...

ديدمونه : أواه أيها الرجل النبيل كل النبل إن توسلاتى لم تجد إلى الآن وقد تنكر على مولاى منذ هنيهة حتى كان غير ما أعهده. ولو تغير وجهه كما تغير خلقه لما عرفته – ليت الأرواح العلوية مسعداتى بقدر ما شفعت لك عنده فلقد أصررت وكررت حتى انتهيت إلى شفا كدره. فلابد لك من التجلد وسأفعل لأجلك أكثر مما أجسر على فعله لأجل نفسى فليكفك هذا.

ياجو : أمولاى غضبان؟

ديدمونه : قد خرج الآن من هنا وهو بلا ريب فى اضطراب غريب.

ياجو : لم أعهده يغضب. رأيته والمدفع يطير بكتائبه مبعثرة فى الهواء يهجم هجمة الشيطان وينقذ أخاه بيده.... ثم هو الآن يغضب. لابد من أمر ذى بال. سأذهب للقائه. إنه إذا حنق فلسبب خطير.

ديدمونه : افعل بتوسل منى (يخرج ياجو) لابد أن يكون هناك معضلة من معضلات الحكومة أو أمر وفد من البندقية أو مؤامرة علم بتدبيرها فى قبرس قد غشت عليه صفاء فكره. وفى أمثال هذه الأحوال تضطر النفوس الكبيرة الغايات أن تشتغل بالهنات الصغائر. مثلنا بذلك كمثل الذى تؤلمه إصبعه فيجد شعور الألم فى سائر جوارحه السليمة، على أن الرجال ليسوا بآلهة وما علينا أن نكلفهم على الدوام مجاملتنا كما يفعلون أيام العرس – عنفينى

بشدة يا إميليا لأننى كنت شارعة فى التظلم فى من قسوته لدى محكمة ضميرى أما الآن فأرى أننى رشوت الشاهد وأننى ألقيت التهمة بغير صواب.

إميليا : لنضرع إلى الله أن يكون ما به أمرًا من أمور الحكومة كما فكرت لا جنة من جنات الغيرة.

ديدمونه : ويحى لم أفعل قط ما يستفز غيرته.

إميليا : غير أن النفوس الغيورة لا تهتم بالبراءة ولا تجيئها فى الغالب نوباتها عن سبب بل تغار لأنها تغار وما الغيرة إلا بهيمة شاذة تلقح من نفسها وتتولد من نفسها.

ديدمونه : وقى الله قلب عطيل من تلك البهيمة.

إميليا : آمين يا سيدتى .

ديدمونه سأذهب لأستقدمه. كاسيو تنزه قليلاً بقرب هذا المكان فإذا وجدته فى ساعة رضى دافعت عنك وبذلت مجهودى فى كسب دعواك.

كاسيو : اشكر مرحمتك بكل خضوع (تخرج ديدمونه وإميليا)

(تدخل بينكا)

بينكا : حياك الله ورعاك كاسيو .

كاسيو : ما تصنعين خارج البيت. كيف حالك يا عزيزتى الجميلة جدًا؟ تالله لقد كنت على عزم التوجه إليك...

بينكا : أنا كنت ذاهبة إلى منزلك. أيمضى أسبوع ولا تزور . سبعة أيام وسبع ليال، مائة وثمان وستون ساعة. على حين أن ساعات هجر العشيق أشد تبريحًا من ساعات التوقيت بمائة وستين مرة. يالله ما أقبحها سأمًا وضجرًا.

كاسيو : سامحينى يا بينكا نكبت بما أقصانى عنك فى هذه الأيام كلها.. ولكننى سأعيض ما فات بما هو آت. أى عزيزتى الكريمة بينكا. أنسخى لى مثالاً من هذا المنديل.

بينكا : من أين جاءك هذا يا كاسيو؟ لابد أنه هدية من صديقة جديدة... لقد فهمت سبب ذلك الجفاء سنرى سنرى.

كاسيو : تخلطين يا امرأة. ألق بظنونك البشعة فى وجه الشيطان الذى أوحاها إليك. أتغيرين من تخمينك أن لى رفيقة جديدة. كذبك وهمك وعهد الوفاء.

بينكا : إذن من أين جاء هذا؟

كاسيو : لا أعلم، وجدته فى غرفتى وأحببت صنعه كثيرًا، لذلك سألتك صنع غيره

على مثاله قبل أن يطلبه أربابه، أرجو منك وأتوسل إليك أن تتقلى لى هذا المثال. والآن دعينى.

بينكا : لماذا أدعك؟

كاسيو : أترقب القائد هنا وليس من مصلحتى ولا من أمنيتى أن يرانى مع امرأة.

بينكا : ولم هذا التحاشى؟

كاسيو : ليس من عدم الحب.

بينكا : بل من كونك لا تحب "إياى". تكرم على واصحبنى قليلاً وأجبنى: أتزورنى الليلة أم لا؟

كاسيو : لا أستطيع مرافقتك إلا بعض الخطى إذ لا محيص لى من انتظار القائد هنا. لكن سأراك قريبًا.

بينكا : لا بأس إنى أدع التشديد الآن مراعاة للحالة

(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

قبرس – أمام القصر

[يدخل عطيل وياجو)

ياجو : أيداخلك مثل هذا الظن؟

عطيل : مثل هذا الظن؟

ياجو : لأجل قبلة اختلست على انفراد.

عطيل : قبلة غيرة جائزة...

ياجو : أو لأجل قضاء ساعة أو أكثر مع المحبوب فى سرير واحد.

عطيل : أيعريان ويدخلان السرير بدون قصد أثيم. ياجو هذه مداجاة [1] للشيطان. إن الذين يخلون هذه الخلوة لو طهرت نياتهم لامتحنهم إبليس وامتحنوا الله.

ياجو : إذا لم يفعلوا شيئًا فهى هفوة عرضية أما إذا أعطيت امرأتى منديلاً...

عطيل : فما يكون؟

ياجو : يكون عندئذ ملكًا لها ولها وفيما أعتقد أن تمنحه لمن تشاء.

عطيل : هى أيضًا أمينة على عرضها أتستطيع أن تهبه.

ياجو : عرضها لا يرى وكثيرًا ما يحدث أن الذين لا عرض لهم هم بالذات أصحاب العرض. أما المنديل...

عطيل : بالله العظيم لقد كنت أود لو أنساه... أتمم جملتك... لكن ذكره يود إلى رأسى كما يعود الى البيت المتداعى غراب البين ينعق بالويلات... كنت تقول إن المنديل وجد معه؟!

ياجو : فدليل أى شىء هو؟

عطيل : كيفما كانت دلالته فما هى بالشىء النظيف.

ياجو : إذن ما كنت تصنع لو أبلغتك أننى رأيته يسلب عرضك أو أننى سمعته يقول كيت وكيت كما يفعل بعض الشذاذ الذين إذا قضوا لبانتهم من معشوقتهم سواء بإلحافاتهم المزعجة أو بتشخيصاتهم المؤثرة، لم يملكوا الكتمان.

عطيل : وما الذى قاله؟

ياجو : إنه... فعل ما لست أتذكر...

---

(١) مراءاة.

عطيل : أى شىء أى شىء؟؟

ياجو : إنه بات...

عطيل : معها؟

ياجو : معها... بقربها... كما تشاء!

عطيل : معها.. بقربها.. خطب رائع. المنديل... الإقرارات... المنديل... ليعترف ثم ليشنق جزاء وفاقًا بل ليشنق أولاً ثم ليعترف... أرتجف لمجرد تصورى تلك الخيانة؛ ولولا أنها وقعت وأسرتها إلى الطبيعة لما بلغ الاضطراب منى هذا المبلغ.. ليس الذى يقلبنى عاليًا إلى سافل كلمات فقط... لعنة الله عليهما.... أنفاهما... آذانهما... شفاههما... أفى التصور ما كان.... ليعترف – المنديل – يا للشيطان (يغمى عليه)

ياجو : فعلك يا طبى فعلك. الحمقى المصدقون يؤخذون هكذا. وهكذا تقع السعاية على كثيرات من الخواتين [1] العفيفات – صحوًا سيدى... سيدى... صحوًا عطيل. (يدخل كاسيو)

ياجو : كاسيو؟!

كاسيو : ما أرى؟

ياجو : أغمى على مولاى... أمس مرة وهذه الثانية...

كاسيو : أفرك صدغيه.

ياجو : لا... قف.. لا ينبغى تحريكه فى الإغماء وإلا أزبد فمه وهب هبة جنون وحشى.. انظر... يضطرب.. تغيب قليلاً.. سيرجع على حسه وعندما ينصرف أريد أن أفاوضك فى أمر ذى بال (يخرج كاسيو) كيف أنت الآن أيها القائد ألم تجرح فى رأسك؟

عطيل : تسخر منى؟!

ياجو : أنا أسخر منك؟ لا والسماء... عساك أن تتحمل قسمتك تحمل الرجال.

عطيل : رجل ذو قرنين لا يكون إلا خلقًا مخطأ أو حيواناً.

ياجو : يوجد إذن فى مدينة مأهولة كثير من الخلائق المخطأة، وكثير من البهائم فى زى الحضارة.

عطيل : هل أقر بما فعل؟

ياجو : سيدى الكريم كن رجلاً، تصور أن كل ذى لحية مشدودة إلى امرأة يستطيع

---

(١) النساء الشريفات.

أن يحمل حملك. من الناس فى هذه الساعة ألوف ألوف يبتون ليلهم فى مضاجع قاسمتهم إياها الجماهير ويزعمون أنها لهم خاصة أما أنت فحظك ما زال أصلح من حظوظ هؤلاء... لكن أجد من جهة أخرى أن من سخريات جهنم ومبالغات الرجم فى الرزايا عناقك لامرأة فاسقة فى فراش شرعى وتحسبها طاهرة... لا.... خير لك ثم خير لك أن تعرف كل شىء فإننى متى عرفت ما أنا عرفت أيضًا مصيرى.

عطيل : أنت عاقل بلا مراء.

ياجو : الزم السكينة قليلاً واكتف بالإصغاء متجلدًا أسمعك برهانًا جديدًا.. جاء كاسيو إذ كان مغمى عليك من الألم وهو ما لا يليق برجل مثالك فأبعدته معتذرًا بعلتك وأوصيته أن يعود لمخاطبتى بعد هنيهة. فالتمس لك هنا مكمنًا تجثم فيه وألمح إشارات الهزء والاحتقار التى تبدو على وجهه حين أكلمه عنها وسأحتال عليه بحيث يقص على قصته مع امرأتك ويقول أين. وكيف. ومتى. وكم مرة اجتمع بها أو ينوى أن يجتمع. تنبه وحسبك أن ترقب حركاته. يالله صبرًا وإلا شهدت أنك الهزة مشخصة برأس وقدمين وأن لا شىء فيك من الرجل.

عطيل : اسمع يا جو سترى أننى جليد كل الجلد ولكننى أعلم أيضًا سفاح فى الغاية.

ياجو : مهما تقتل لا تدرك حق ثأرك غير أنه يحسن عمل كل شىء فى ميقاته أتريد أن تتوارى؟ (يختبئ عطيل) الآن سأسأل كاسيو عن بينكا العاهرة التى تبيع محاسنها وتشترى خبزًا وملابس. هذه الفاجرة مجنونة بكاسيو لأنه من مصائب البغيات أن يخدعن ألوفًا ويخدعهن واحد – فمتى سمع ذكرها لم يملك أن يضحك حتى يشرق... أراه قادمًا ومتى تبسم أصبح عطيل مجنونًا وأولت غيرته الفاحشة كل رمز يرمزه من تبسم وإشارة أسوأ تأويل على المسكين كاسيو (يدخل كاسيو)

ياجو : كيف أنت الآن أيها الملازم؟!

كاسيو : كما يكون القتيل، وإننى لقتيل بفقدى اللقب الذى تلقبنى به.

ياجو : أصرر على التماس الشفاعة من ديدمونه وثق بالنجاح (بصوت خافت) أما لو كانت أمنيتك عالقة برداء بينكا لتحققت سريعًا.

كاسيو : مسكينة تلك الإنسانة.

عطيل (فى مكمنه) : انظر كيف طفق يضحك!

ياجو : لم أر قط امرأة تحب رجلاً هذا الحب.

كاسيو : ويحها من خاطئة أظن على ذمتى أنها تحبنى.

عطيل (فى مكمنه) : ها هو ذا ينكر الجريمة بتراخ لكن يضحك لذكرها كثيرًا.

ياجو : أسامع يا كاسيو.

عطيل (فى مكمنه) : إنه الآن يحرجه ليحمله على الإخبار. أحسنت أحسنت.

ياجو : تشيع أنك ستقترن بها. أهذه أمنيتك.

كاسيو : ها ها ها...

عطيل (فى مكمنه) : أفائز أيها الرومانى أفائز؟

كاسو : أنا أقترن بها.بمومس. هب عقلى شيئًا من حسن ظنك ولا يكن رأيك هذ الرأى العفن. ها ها ها.

عطل (فى مكمنه) : كذا كذا الظافرون يضحكون.

ياجو : بذمتى إن إشاعة زواجكما متناقلة.

كاسيو : بحياتك قل لى الحقيقة

ياجو : إن لم تكن قولى الحقيقة فلا كنت إلا محض مجرم مزور.

عطيل (فى مكمنه) : طبعت السمة على جبهة لا بأس.

كاسيو : إن هى إلا إشاعة صادرة عن تكل الوقحة تظن أننى أتأهل بها عن زهو وخيلاء منها لا عن وعد منى.

عطيل (فى مكمنه) : ياجو يشير إلى.. سيبدأ القصة.

كاسيو : كانت هنا هى هنيهة ودأبها أن تدركنى فى كل مكان.
ومن جنونها أنها لحقت بى وإلى شاطئ البحر منذ أيام وكنت أحادث بعض البندقيين فجاءت وطوقت عنقى هكذا..

عطيل (فى مكمنه) : وهى تصبح : "يا حبيبى كاسيو". أكاد أسمع ما يقوله لفصاحة إشارته.

كاسيو : علقت بعنقى وأخذت تترجح وتبكى وتدفعنى وتجذبنى.
ها ها ها

عطيل (فى مكمنه) : يخبره كيف أدخلته غرفتها، آه إنى أرى أنفك... لا بل أرى الكلب الذى سألقيه إليه.

كاسيو : لابد لى من مقاطعتها.

ياجو : ليس بحضورى.. التفت تجدها مقبلة.

كاسيو : هذه مفتونتى يسطع عطرها إلى هذا المكان.

(تدخل بينكا)

كاسيو : ما مرادك من مطاردتى هكذا؟

بينكا : طاردك الشيطان وأنشاه ما كان مقصدك من هذا المنديل الذى دفعته إلى منذ قليل. غلبت على الغفلة فصدقت أنك تستنسخ رسمه. أمن المعقول أن تجد مثل هذا الشىء الثمين فى غرفتك من غير أن يكون أحد قد تركه، هذا بلا شك هدية من عاهرة ما، وأنا أكلف تصوير مثله. أبى الله أن أفعل. خذه وأهده عشيقتك. أيًا يكن مأتاه فلن أنقله.

كاسيو : ماذا جرى يا صفيتى بينكا ماذا جرى؟

عطيل (فى مكمنه) : يالله لابد أن يكون هذا منديلى.

بينكا : إذا أردت أن تجىء لتتاول العشاء الليلة فأهلاً وإلا فتعال حين تشاء..

(تخرج بينكا)

ياجو : أعد وراءها أدركها.

كاسيو : لا بد لى من ذلك أو تملأ الطرق وصياحًا.

ياجو : أتتعشى هناك؟

كاسيو : هذا إزماعى.

ياجو : لعلى ألحق بك إذ أننى فى حاجة لمفاوضتك.

كاسيو : تعال ولك الفضل. أتجىء؟

ياجو : كافية لا تزد. (يخرج كاسيو)

عطيل (فى مكمنه) : أية قتلة أقتله؟ أشر.

ياجو : أرأيت كيف كان يضحك من جريمته؟

عطيل : ياجو ياجو.

ياجو : وهل رأيت المنديل؟

عطيل : أكان منديلى؟

ياجو : منديلك قسمًا بيدى ومن الغريب أن تكون هذه عنده قيمة امرأتك المجنونة التى تعطيه منديلاً ويعطيه بغيًا.

عطيل : أتمنى لو مكنت تسع سنين أقتله – امرأة جميلة، امرأة رشيقة، امرأة أنيسة.

ياجو : لابد لك من نسيان كل هذا.

عطيل : نعم ولتذهب إلى حيث تقضى ولتهلك جسمًا ونفسًا فى هذه الليلة... لن تعيش... لا.. إن قلبى قد تحول إلى حجر، أضربه ويجرح يدى. أواه ليس فى العالم أعذب منها امرأة. كان يحق لها أن تقترن بملك كبير وتأمره بما تشاء.

ياجو : ليس هذا ما ستفعله معها.

عطيل : لتشنق.. ولكن اذكر صفاتها. ما أبرعها فى تقليب الإبرة، ما أمهرها فى الموسيقى. إذا تغنت أزالت وحشية الضارى غير أنها مع ذلك الذكاء وتلك الفطنة...

ياجو : أجدر بالتثريب.

عطيل : ألف مرة أجدر. ثم ما أشرف محتدها [1].

ياجو : أشرف من أن يعبث به هكذا.

عطيل : تجاوزت حده بلا مراء ولكن يا للغبن، ياجو يا للسخارة..

ياجو : إذا كنت مغرمًا إلى هذا الحد بفجورها فأعطها إجازة لارتكاب الخطايا وهذه الإباحة لا تعنى أحداً غيرك.

عطيل : سأهشمها هشمًا. تلك التى عرضتنى لهذه المهانة.

ياجو : إن ذنبها لعظيم.

عطيل : تخوننى مع تابعى!

ياجو : وهذا ذنب أعظم.

عطيل : هيئ لى سمًا ياجو... الليلة. لا أريد أن يجرى عتاب بينى وبينها مخافة أن يتغلب جسمها وجمالها على نفسى– الليلة يا صاحبى.

ياجو : لا تقتلها بالسم اخنقها فى نفس السرير الذى دنسته.

عطيل : هذا العقاب أعجبنى وهو أفضل.

ياجو : أما كاسيو فدعنى أتول القضاء عليه وستعلم بقية أمرى فى منتصف الليل.

عطيل : غاية فى الإحسان (يسمع بوق) ما هذا البوق؟

ياجو : رسول من البندقية بلا شك... هذا لودفيكو آتيًا من قبل الدوج وهذه امرأتك تصحبه.

(يدخل لودفيكو ديدمونه وأتباع لهما)

لودفيكو : كلأك الله أيها القائد الشريف.

عطيل : مطيعك من صميم الفؤاد يا سنيور.

لودفيكو : الدوج وأعيان البندقية مرسلون إليك تحياتهم.

عطيل : أقبل الهِنة [2] الحاملة لمشيئتهم.

---

(١) أصلها.

(٢) الشيء.

ديدمونه : وما وراءك من الأخبار يا ابن عمى لودفيكو.

عطيل : أنا مسرور برؤيتك يا سنيور مرحبًا بك فى قبرس.

لودفيكو : شكرًا لك، وكيف الملازم كاسيو؟

ياجو : حى يا سنيور

ديدمونه : يا ابن عمى لقد قام بينه وبين مولاى خلاف أحزننى لكن أرجو أن تعيد المياه إلى مجاريها.

عطيل : أواثقة أنت من ذلك؟

ديدمونه : مولاى.

عطيل (قارئًا) : "وإليك أن تفعل فى هذا الأمر ما تراه".

لودفيكو : لم يخاطبك بل كان مشتغلاً بمطالعة هذا الكتاب. أوجد شقاق بين القائد وبين كاسيو؟

ديدمونه : شقاق ساءنى جدًا وأرغب فى إزالته كل الرغبة لما لى من العطف على كاسيو.

عطيل : لمهب وملح بارود

ديدمونه : مولاى.

عطيل : أمعك مسكة من العقل؟

ديدمونه : أتراه غضبان.

لودفيكو : لعل هذا الكتاب أثر فيه فإن به على ما أظن استدعاءه إلى البندقية وتقليد منصبه لكاسيو.

ديدمونه : حبذا البشرى وما أفرحنى بها.

عطيل : الله الله.

ديدمونه : مولاى.

عطيل : أنا أفرح بأن أراك مجنونة.

ديدمونه : كيف يا مولاى الكريم.

عطيل : أنت شيطانة (يصفعها).

ديدمونه : لم استحق هذا.

لودفيكو : لو أقسمت فى البندقية أنى رأيتك تضربها لما صدقونى، هذا فوق الطاقة. استغفرها إنها تبكى.

عطيل : يا للشيطانة الشيطانة لو كانت الأرض تلقح بعبرات لكانت كل دمعة تسقط من عيون امرأة تلد تمساحًا.

إليك عنى.

ديدمونـــــه (تتجـــــه للانصراف) : أنصرف منعًا لاستيائك.

لودفيكو : هل فى السيدات أطوع منها، أبتهل إليك يا مولاى أن تدعرها.

عطيل : أيتها السيدة.

ديدمونه : مولاى.

عطيل : ما تريد منها يا سنيور؟

لودفيكو : من؟ أنا يا سيدى؟

عطيل : نعم أنت رغبت إلى فى دعوتها ولها أن تجىء وتذهب وتدور وتتقدم وتتأخر كما تشاء ولها أن تبكى ما تبكى. وهى طيعة كما تقول يا سنيور، طيعة جدًا... وأصلى البكاء.. أما محتوى هذا الكتاب فهو أننى أمرت بالعودة إلى البندقية. أواه مما ترهقنى الآلام – اذهبى وسأبعث فى طلبك بعد هنيهة... سنيور إنى مطيع للأمر وسأرجع للبندقية... توارى من هنا انصرفى (تخرج ديدمونه) سيتولى كاسيو مكانى.. سنيور أرجو أن تجيب دعوتى إلى العشاء الليلة.

مرحبًا بك فى قبرس يا سنيور – تيوس وقردة.

لودفيكو : أهذا هو ذلك المغربى الذى أجمع مجلس أعياننا على امتداحه فى كل شىء؟ أهذا هو ذلك الطبع الذى لا يستفزه الغضب والذى تتعالى شجاعته عن أن تتالها وريـة زنـد مـن زنـاد العرض أو تصـيبها رميـة مـن سـهام الطوارئ ؟

ياجو : لقد تغير حتى تتكر

لودفيكو : أو مالك عقلة، أو ليس به مس وخيال

ياجو : هو ما ترى. لا ينبغى لى أن أنتقده. وليته كان كما يجب، بل كما يستطيع أن لا يكون.

لودفيكو : يا للفظاعة يضرب امرأته.

ياجو : بذمتى لم يكن عمله جميلاً ولعله لا يتبعه بأقبح.

لودفيكو : أهذه عادته أم اثر فيه هذا الكتاب تأثيرًا حمله على ارتكاب هذه الهفوة؟

ياجو : ليس مما يقتضيه وفائى أن أخبرك بما رأيت وعرفت. ستعلم من أفعاله ما يغنيك عن كلامى، تتبعه وارقب ما سيكون من بقية أمره.

لودفيكو : إنى أسيف لما اعتقدته فيه من الخير.

المشهد الثانى

مسكن فى القصر

[يدخل عطيل وإميليا]

عطيل : إذن لم تَرَى شيئًا؟

إميليا : ولم أسمع ولم يخامرنى ظن.

عطيل : بلى رأيتهما معًا هى وكاسيو.

إميليا : لكنى لم ألمح ريبة خلال هذه المقابلات ولم يفتنى هجاء مما كانا يقولانه.

عطيل : غريب. أم لم يتهامسا؟

إميليا : قط يا سيدى.

عطيل : أو لم تبعدك مرة عن مكان الاجتماع؟

إميليا : قط.

عطيل : لتجيئها بمروحتها أو قفازيها أو حجاب وجهها أو أى شىء آخر.

إميليا : قط يا سيدى.

عطيل : غريب.

إميليا : أقسم إنها طاهرة يا سيدى وأخاطر على حياتى فإن كان قد خامرك شك. فقد خدعت وإن كان لئيم غادر قد دس فى نفسك هذا الشك فليلعنه الله لعنة الثعبان. فوالله لئن لم تكن عفيفة نقية صادقة فليس فى الدنيا رجل سعيد وليس فى النساء مهما طهرت الواحدة منهن إلا كل ملوثة كالفضيحة بعينها.

عطيل : أبلغيها أمرى بالمجىء (تخرج إميليا) تتكلم بجلاء ولكنها قوادة كسائر القوادات لا تستطيع أن تقول إلا ما قالته. أما تلك فبغى حذره بل غرفة سوء مقفلة على أسرار نجسة، ومع هذا رأيتها تجثو وتصلى. رأيتها...

(تدخل ديدمونه وإميليا)

ديدمونه : مولاى ما مشيئتك؟

عطيل : تعالى إلى هنا يا دجاجتى.

ديدمونه : ما الذى تريده؟

عطيل : أرينى عينيك. انظرى إلى مواجهة.

ديدمونه : ما هذه الأمنية المنكرة؟!

عطيل (إلى إميليا) : أنت يا سمحة جودى علينا ببعض الخدم التى تحسنينها. دعى العاشقين

مختليين وأقفلى الباب ثم استعلى أو همهمى إذا جاء أحد .إلى مهنتك. امضى. أسرعى (تخرج إميليا)

ديدمونه : ألتمس منك جاثية أن تقول لى ما معنى هذا الخطاب. أحس فيه الغضب ولكن الألفاظ لا أدرك معناها.

عطيل : أجيبينى من أنت؟

ديدمونه : زوجك يا سيدى، حليلتك المخلصة.

عطيل : أقسمى على هذا أو واقضى على نفسك بعذاب الآخرة إن لم يكن حقًا إنك لتشبهين الملائكة شبهًا يخيف الشياطين من قبضك... أقسمى مرتين على حياتك الآخرة بأنك طاهرة.

ديدمونه : السماء تعلم عفتى بكل تحقيق

عطيل : السماء تعلم بكل تحقيق أنك خادعة كجهنم

ديدمونه : أواه من هذا اليوم المشئوم لماذا تبكى، أأنا مسببة هذا البكاء يا سيدى. إذا كنت تظن أن أبى كان الساعى فى رجوعك فهل على ملام؟ وإذا كانت قد فقدت صداقته فقد فقدتها أنا أيضًا.

عطيل : لو أنه طاب للسماء أن تمتحننى بأشد البلايا فأمطرت على رأسى حاسرًا صنوف الآلام والمعَرَّات وأغرقتنى فى الفقر إلى الشفتين وسامتنى الأسر وخيبة البقية من آمالى، لوجدت فى زاوية من نفسى أدنى موضع للصبر، ولكن يا للحيف، لا صبر لى على أن أكون تمثالاً يرمقه الزمان ويشير إليه الاحتقار بأصبع يرفعها على مهل. على أننى ربما تماديت إلى تحمل هذا ولا بأس. إلا أن هناك مقدسًا أودعت فيه قلبى وهو الذى يجب أن أعيش فيه أو لا معنى للعيش. ثم إن هناك ينبوعًا يجرى منه تيار بقائى وبدونه ينضب فأنا بين خطتين إما أن أطرد من المقدس وإما أن أبقى الينبوع مباحًا كالبئر ترده الصراصير القذرة وتتواقع بجانبه وتتناسل. إيهًا أيهًا الصبر. إيهًا أيها الملك الوردى الثغر، تحول تجاه هذا المشهد واتخذ وجهًا قاتمًا كوجه سقر (١)

ديدمونه : أرجو أن يكون سيدى على يقين من عفتى.

عطيل : نعم، نعم كيقينى من ذباب الصيف فى المجازر لا تبيض حتى تتجامع. أيتها الزهرة المتناهية رقة وجمالاً النافحة من الطيب ما يسكر الجوارح لماذا

---

(١) جهنم.

ولدت فى الدنيا؟!

ديدمونه : يا ويحى أية خطيئة من خطايا السهو اقترفت؟

عطيل : هذه البشرة الناعمة. هذا الكتاب الشائق المكسو أكان معدًا لتخط على ظاهره كلمة "مومس"؟ أية خطيئة ارتكبتها؟! يا بغى السوق لو ذكرت لك ما فعلته لاحمرت وجنتاى كالتنور ولسحقتا كل خجل سحق الرماد. أية خطيئة ارتكبتها؟ السماء تسد أنفها من رائحتها والقمر يغمض عينيه من قبحها والنسيم الفاسق الذى يقبل كل ما يمر به يختبئ منها فى جوف الأرض ويأبى سماعها. أية خطيئة ارتكبتها أيها الفاجرة الوقحة؟!

ديدمونه : وأيم السماء إنك لتفترى على الإهانة.

عطيل : ألست عاهرة؟

ديدمونه : لا والذى خلقنى متقية، وإذا لم يكن إثمًا على حفظى لهذا الإناء الجثمانى نقيًا من كل شائبة وملمس سيء فلست ما تصف.

عطيل : وكيف لست بغيًا.

ديدمونه : إنى لمؤمنة ببراءتى كإيمانى بنجاتى من عذاب الآخرة.

عطيل : أفى الاحتمال هذا؟

ديدمونه : غفرانك اللهم لنا غفرانك.

عطيل : إذن أسألك العفو فقد كنت ظننتك تلك الخبيثة العاهرة من عواهر البندقية التى اقترنت بعطيل. أنت يا سمحة أنت التى تمتهنين نقيض مهنة بطرس وتحرسين أبواب جهنم.

(تدخل إميليا)

عطيل : أنت أنت! نعم أنت لقد قضينا لبانتنا وهذا جزاؤك من النقود. أرجو أن تغلقى الأبواب وتكتمى سرنا (يخرج)،

إميليا : ويلاه ماذا يتصور هذا السيد؟ كيف أنت الآن يا مولاتى الكريمة؟

ديدمونه : بين نوم ويقظة

إميليا : ماذا جرى بينك وبين مولاى؟

ديدمونه : وبين من؟

إميليا : وبين مولاى يا سيدتى.

ديدمونه : من مولاك؟

إميليا : الذى هو مولاك يا سيدتيى.

ديدمونه : لا مولى لى. لا تكلمينى إميليا فما أستطيع البكاء ولا جواب بغيره عندى.

أرغب إليك أن تضعى فى هذا المساء على سريرى أغطية العرس. لا تنسى واذهبى فادعى زوجك إلى.

إميليا : هذا تغيير عجيب (تخرج).

ديدمونه : عدل ما عوملت به، عدل ولكن ما الذى صنعته حتى إن أكبر هفواتى أدخلت على نفسه أدنى ريب!.

(تعود إميليا وياجو)

ياجو : ماذا تريدين يا سيدتى؟ ماذا جرى؟

ديدمونه : لا أقدر على ذكره، الذين يربون الأطفال يرفقون بهم ويكلفونهم الأعمال السهلة، كان يستطيع أن يعاملنى هكذا – لأننى طفلة متى زجرت...

ياجو : ماذا حدث يا سيدتى؟

إميليا : ويلاه إن سيدى قد أهانها كثيرًا ودعاها بغيًا وحقرها تحقيرًا مرهقًا بألفاظ سمجة لا تطيقها القلوب الكريمة.

ديدمونه : أأنا جديرة بهذه التسمية يا ياجو؟

ياجو : أية تسمية أيتها السيدة الجميلة؟

ديدمونه : التى دعانى بها مولاى.

إميليا : دعاها بعاهرة وهو مالا يقوله الشحاذ السكران لمن هى معه.

ياجو : علام فعل هذا؟

ديدمونه : لا أدرى. وأنا على ثقة من أننى لست كما عزم.

ياجو : لا تبكى لا تبكى. ويلاه، مصيبة.

إميليا : أتركت سائر خطابها الشرفاء وهم كثير، وتركت إياها وبلادها وأصدقاءها لتسمى عاهرة؟ أليس فى هذا ما يستبكى؟

ديدمونه : قضاء من نحسى.

ياجو : لعنة الله عليه لفعله هذا، من أين أصابه هذا الجنون؟

ديدمونه : الله وحده يعلم.

إميليا : بل على عنقى. إن هناك غدارًا هالكًا دساسًا محتالاً شحاذًا نمامًا غشاشًا وشى وشاية لينال منصبًا. على عنقى هذا ما هو كائن.

ياجو : دعى الوهم أيوجد رجل من هذا النوع؟ محال.

ديدمونه : إذا كان موجودًا فليسامحه الله.

إميليا : بل ليسامحه حل المشنقة ولتأكل جهنم عظامه. لم دعاها بغيًا.. من الذى يعاشرها وأين متى وأى ظاهر دل. وهل هو معقول؟... لقد خدع المغربى.

خدعه أحد السفلة الأدنياء المجرمين الأبالسة، أحد المكرة الممتهنين. يا للسماء لو عدلت لوجب أن تكشفى الستار عن أولئك المجرمين وتضعى سوطًا فى يد كل رجل كريم ليُساطَ به أولئك اللئام فى أطراف الدنيا من الغرب إلى الشرق.

ياجو : اخفضى من صوتك

إميليا : خيبة وعار على أولئك الناس. ألم يدخل عليك واحد منهم أن بينى وبين المغربى ريبة (مخاطبة ياجو بصوت منخفض)

ياجو : (من جانب إلى إميليا) أنت حمقاء أمشى.

ديدمونه : ياجو وا حسرتاه كيف أنصع لأعود إلى رضى مولاى اذهب إليه يا صديقى لأننى وأيم هذا النور السماوى لا أعرف كيف فقدته. إننى لأجئو هنا ولئن كنت قد أخطأت إلى غرامه مرة عن قصد سواء بلسانى أم بفكرى أو بفعلى ، بل لئن كانت عيناى أو أذناى أو أية حاسة من حواسى الأخر مالت إلى غيره، بل لئن كنت غير مقيمة على حبه الآن كما كنت أحبه وكما سأحبه أبدًا حتى لو قذف بى فى شقاوة الطلاق، لا كانت لى سلوى ولا تعزية فى هذه الدنيا. إن القسوة لتقدر على كثير وقسوته على قد تقتلنى على أنها لا تدنس غرامى. أنا لا أستطيع أن أقول بغى. هذه الكمية يؤلمنى لفظها فما بال العمل الذى يصم بها ولو دعتنى إليه جميع أباطيل الحياة.

ياجو : صبرًا صبرًا إن هى إلا سحابة كدر وتنقضى. لقد أزعجته أحوال الحكومة فوقع عليك غضبه.

ديدمونه : إن لم يكن سبب إلا هذا رضيت.

ياجو : لا سبب إلا هذا، على عهدتى (تسمع أبواق) أصغى هذه الأبواق تدعوك إلى العشاء وسفراء البندقية فى انتظارك للجلوس إلى المائدة انهضى إليهم ولا تبكى ثم كل شىء يجىء على المرام (تخرج ديدمونه وإميليا) ما جاء بك يا ردريجو (يدخل ردريجو)

ردريجو : لا أجدك تحسن الصنيع معى.

ياجو : ما يثبت لك ذلك.

ردريجو : كل يوم تطاولنى ملتمسًا عذرًا جديدًا ويظهر أنك تمنعنى الفرص بدلاً من أن تساعد على سنوحها. لن أتحمل هذه السيرة ولم يبق فى وسعى أن أهضم بسكينة كل ما هضمته عن حمق من قبل.

ياجو : أتصغى إلى وتمتثل يا ردريجو؟

ردريجو : وذمتى لقد طالما امتثلت فما حلوت بطائل لأن أقوالك لا تنطبق على أفعالك.

ياجو : تتهمنى بغير حق.

ردريجو : بل بحق، فلقد أنفقت ما جاوز مقدرتى والجواهر التى أعطيتك إياها برسم ديدمونه كانت تكفى لقصم راهبة من نصفها؛ فإن كنت قد أوصلتها كدعواك وكانت العِدَاتُ [1] التى جئتنى بها منها شكرًا صحيحًا فلم لا أجد تحقيقًا لشىء منها؟

ياجو : امض فى كلامك. هذا حسن.

ردريجو : امض، كفانى ما مضى – هذا حسن. أقول إن فعله ليس بحسن. بل إنه نهاية فى القبح وقد ألمح أنك عبثت بى فى هذه المسألة.

ياجو : حسن فى الغاية.

ردريجو : قلت لك إنه غير حسن لا فى الغاية ولا فى البداية أريد أن تعرفنى ديدمونه؛ فإذا ردت على جواهرى عدلت عن متابعتها والتمست الصفح منها عن سوء ما ندبتها له وإلا جعلتك مسئولاً عنها وأنزلت بك عقابى.

ياجو : ماذا كنت تقول بعبارتك الأخيرة؟

ردريجو : لم اقل إلا ما أنا مزمع فعله عن يقين.

ياجو : الآن تبينت أنك باسل، ومنذ الساعة أرى فيك رأيًا لم أره من قبل. صافحنى يا ردريجو لقد أسأت بى الظن ولك العذر غير أننى أؤكد لك أننى اشتغلت بمهارة لا تقبل المزيد فى مسألتك.

ردريجو : مهارة لم أتبين أثرها!

ياجو : أسلم، ولهذا أجدك حكمت بعقل. لكن إذا صح أن عندك ما أعتقده الآن فيك من الشجاعة ورباطة الجأش فأرنيهما الليلة؛ فإذا كنت فى الليلة التالية لا تتمتع بديدمونه كان لك أن تقصينى عن هذه الدنيا بخيانتى وتنصب من الفخاخ ما تشاء لإفقادى حياتى.

ردريجو : أوافق ما الذى تبتغيه منى؟ أشىء فى الإمكان أو المعقول؟

ياجو : لقد جاء وفد خاص من البندقية لإحلال كاسيو محل عطيل.

ردريجو : أصدق هذا النبأ. إذن عطيل وديدمونه يعودان إلى البندقية.

---

(١) المواعيد.

ياجو : كلا، بل يذهبان إلى موريتانيا إلا إذا اضطرت الأحوال عطيلاً أن يطيل مقامه هنا. وخير ما يستطال به مقامه أن يحذف كاسيو.

ردريجو : ما تعنى بهذا الحذف؟

ياجو : أعنى أن يعق عن الحلول محل عطيل... أن يهشم رأسه.

ردريجو : وهذا ما تنوطه بى.

ياجو : نعم إذا جرؤت أن تملك نفسًا نفعًا وحقًا. سيتعشى الليلة عند فاجرة فالحق به إلى منزلها وهو ما زال يجهل النعمة التى وقعت إليه فارقبه إن شئت بين منتصف الليل والساعة الواحدة.. ومتى ألفيتنى بجانبك لأعينك بحيث لا ينجو من ضرباتنا، فاعزم ولا تقف دهشًا مترددًا بل تعالى معى، سأريك بعينيك وجوب قبله فنجد من نفسك عاملاً على إيقاع به. قد مضى ميعاد العشاء فلا تتباطأ لعدم فوات الفرصة هلم بنا إلى العمل.

ردريجو : أريد أسبابًا أدعى من هذا لارتكاب ما تكلفنى إياه.

ياجو : سأوافيك منها بما تشاء. أرح بالك. (يخرجان)

المشهد الثالث

مسكن آخر فى القصر

[يدخل عطيل ولودفيكو وديدمونه وإميليا وأتباع لهم]

لودفيكو : حلفت عليك إلا ما منعت عن نفسك أمثال هذه المكدرات.

عطيل : ألا تسمح بالخروج قليلاً لأن التنزه يفيدنى.

لودفيكو : طاب ليلك يا سيدتى وشكرًا جزيلاً لفضلك.

ديدمونه : الشكر لك على التشريف.

عطيل : أتمضى للتنزه يا سنيور... آه ديدمونه... انطلقى وادخلى سريرك منذ الآن. سأعود بلا توان ثم اصرفى التابعة ولا تنسى.

ديدمونه : نعم يا مولاى. (يخرج عطيل ولودفيكو والأتباع)

إميليا : يظهر أنه أصفى مما كان.

ديدمونه : قال إنه عائد حالاً وأمرنى أن أذهب إلى السرير وأوصانى بصرفك.

إميليا : بصرفى؟

ديدمونه : كذا أراد؛ فأعطينى يا عزيزتى إميليا بدلة نومى ودعينى، إذ لا ينبغى أن نفعل الآن ما لا يرضيه.

إميليا : كنت أود لو لم تريه قط.

ديدمونه : ليس هذا ما أود، وإن حبى له ما زال بأكمله – أرجو أن تفكى عرى ثوبى – حتى إننى لأجد لطفًا وجمالاً فى غضبه وزجراته.

إميليا : جعلت على السرير الأغطية التى أوصيتنى بوضعها.

ديدمونه : استوى عندى كل شىء. ما أعبث الجنون بنفوسنا. إذا مت قبلك فأمنيتى أن تلفينى بهذه الأغطية.

إميليا : دعى دعى السفساف.

ديدمونه : كانت لأمى وصيفة تدعى برباره وكانت تعشق رجلاً. ذلك الرجل أصيب يومًا بخبال وهجرها فكانت لا تفتأ تنشد أنشودة قديمة تعبر أحسن تعبير عن سوء بختها. ولما حضرتها الوفاة قضت نحبها وهى تتغنى بها. تلك الأنشودة تعاود فكرى الليلة بلا انقطاع، وأكاد لا أملك رأسى أن يميل إلى جانب ولا لسانى أن يردد أنشودة المسكينة برباره. عجلى ولك الشكر.

إميليا : أأحضر لك قميص النوم؟

ديدمونه : لا، أعينى على تفكيك هذه العرى، إن لودفيكو لرجل كريم.

إميليا : ومنيف فى الرجال.

ديدمونه : وحسن الحديث.

إميليا : أعرف امرأة فى البندقية لو وعدت قبلة من شفته السفلى لسافرت إلى فلسطين فى طلبها.

ديدمونه (متغنية) : "ثوت الحزينة تبكى تحت الجميزة"

"غنوا جميعًا على الصفصافة الخضراء".

"وضعت يدها على صدرها ورأسها على ركبتها".

"غنوا جميعًا على الصفصافة الصفصافة الصفصافة".

"وكانت المياه الباردة تجرى بقربها وتتنتهد تنهدها".

غنوا على الصفصافة"

"ودموعها تجرى حتى تلين الصخور"

ضعى هذه الملابس ههنا.

(متغنية) "غنوا على الصفصافة...".

بحياتك عجلى قد قرب معاده.

(متغنية) "ليصنع تاجى من صفصافة خضراء"

"لا تلوموه على الجفاء أفدية وأفدى إعراضه".

نسيت البقية: سمعًا... من يطرق الباب؟

إميليا : الريح.

ديدمونه (متغنية) : "دعوته بالعاشق الكاذب فماذا قال"

"غنى على الصفصافة...."

"إذا غازلت غيرك من النساء غازلت غيرى من الرجال"

الآن اذهبى ومساك الله بالخير: جفونى تحزنى، أسبق شعور بأننى سأبكى....؟

إميليا : هذا لا يدل على شىء.

ديدمونه : كنت سمعت كلامًا فى هذا المعنى، أوه الرجال الرجال؟

أتظنين يا إميليا وجود نساء يهن بعولتهن إهانة غليظة كهذه؟

إميليا : توجد نساء من هذا القبيل ولا شك.

ديدمونه : لو أعطيت العالم بديلاً أكنت تفترقين خطيئة كهذه؟

إميليا : أقترفها ولا ريب.. أما أنت أفما كنت لتفعلى؟

ديدمونه : لا وهذه الأنوار السماوية.

إميليا : أنا أيضًا لا أفعلها وهذه الأنوار [1] السماوية أما فى الظلام فبلى.

ديدمونه : أتفعلينها ولو أعطيت العالم كله.

إميليا : العالم شىء عظيم وهو جائزة كبيرة لخطيئة صغيرة.

ديدمونه : أظنك إذا جد الجد لا تقترفينها.

إميليا : إذا جد الجد أظنى أقترفها، وأننى بعد اقترافها أتوب عنها. لا جرم أن الهدية لو كانت خاتمًا مضاعفًا أو بعض أصواف أو ثياب أو قبعات أو أى شىء حقير من هذه الدنايا لصنت نفسى، وأما الدنيا بحذافيرها فلا. وهل توجد امرأة لا تشترى لزوجها الملك بقرنين خفيين. من يقلد بعلى التاج فقد رضيت بالأعراف [2] سبيلاً.

ديدمونه : رضيت بلعنة الله لو رضيت بالدنيا قاطبة جزاء خطيئة من هذا القبيل.

إميليا : خلى عنك، لو أوتيت الدنيا لما كانت خطيئتك فيها إلا إحدى الخطايا التى تجرى فى أملاكك ولك حينئذ أن تكفرى عنها سريعًا بما تشئين.

ديدمونه : لا أعتقد وجود مثل هذه المرأة.

إميليا : نعم توجد من صنفها عشرات بل بتعداد ما يكفى لعمار العالم الذى يقامرون لأجله. على أننى أعتقد أن النساء إذا عَشَرْنَ فالذنب للبعولة لأنهم بين خلتين [3] إما أن يهملوا واجباتهم ويلقوا كنوزهم فى أحواض أجنبيات أو أن يتفجروا عليهن غيرة فيسومونهن المضايقة وآلام الضرب؛ وقد يبتزون أموالهن. ومهما يكن من طبائعنا فإن فيها لشيئا من السم، ولسنا خاليات من شغف بالانتقام تحت ما يروق من مظاهرنا... ليعلم الأزواج.

إن لنسائهم حواسَّ مثلهم لهن عيونًا ومناشقَ وحلوقًا يميزن بها الحلو من المر كما لهم. ماذا هم فاعلون حين يستبدلون بواحدة منا غيرها؟ أهى اللذة تدعوهم؟ نعم. أهو الغرام يدفعهم؟ نعم أيضًا. أهو الضعف ينتقل بهم فى هذه الضلالات؟ نعم نعم نعم؟ فإن كان الأمر كذلك أفليست لنا نحن أيضًا لذات نشتهيها ومودات نبتغيها مع ضعف كضعفهم يحملنا على غير محمل؟ لهذا أقول إما أن يحسنوا معاملتنا أو فليعلموا أن الآثام التى نقترفها

---

(١) الأنوار فى السطر السابق مكسورة على الإقسام وفى هذا السطر منصوبة باعتبار أن الواو واو المعية.

(٢) مكان تطهير النفوس بعد الموت.

(٣) أمرين.

إنما هى رجع ما نتعلمه من آثامهم.

ديدمونه : طاب ليلك ومُسِّيتِ بخير وليمنحنى الله أخلاقًا تعيننى لا على استخراج الشر من الشر بل على استخراج صلاح لنفسى من حيث لا يكون صلاح.

الفصل الخامس

المشهد الأول

فى قبرس – طريق

[يدخل ياجو وردريجو]

ياجو : ههنا... قف وراء هذا الطرف من الحائط. إنه لآت حالاً.. اسلل نصلتك الماضية وأعطه بها جوازًا لسكنى الآخرة... عجلاً عجلاً.. لا تخف شيئًا أنا بجانبك. إننا بفعلتنا فائزان أو هالكان.. تذكر هذا وامكث متينًا فى قصدك.

ردريجو : البث بقرب منى. أخشى أن يخو عزمى.

ياجو : ها أنذا على منالك. تشجع وقف متأهبًا (ينتحى قليلاً)

ردريجو : لا أجد من نفسى دافعًا قويًا على ارتكاب هذا العمل إلا أن ياجو ذكر لى أسبابًا مقنعة. لقد قضى على الرجل تجرد من غمدك يا سيفى إنه لهالك. (يقف متأهبًا) .

ياجو : حككت له ذلك الجرب حتى هاج وتحكم. ليقتل كاسيو أو ليقتله كاسيو أو ليتناحر كلاهما فالنتيجة أية كانت مفيدة لي. ذلك لأنه إذا بقى ردريجو طالبنى بالحلى والمصوغات التى سللتها منه تباعًا بزعم أنها هدايا إلى ديدمونه؛ وما ينبغى أن يستردها منى. وإذا بقى كاسيو عاش عيشة رغد ومجد تكون بجانبها عيشتى حقيرة جدًا. فضلاً عن أن المغربى قد يكاشفه فى أمرى، فأنا إذن فى خطر عظم ولابد من قتله. صه صه. أسمعه. قادمًا (يدخل كاسيو)

ردريجو : عرفت خطاه.. هو بعينه – أنت مائت يا غادر يا أثيم.

(يهجم من مكمنه ويضرب كاسيو)

كاسيو : لولا متانة درعى لكانت هذه الضربة أعدى أعدائى. سأرى الآن متانة درعك

(يجرد سيفه ويضرب ردريجو فيجرحه)

ردريجو : آه قتلت!

(ههنا يهجم ياجو فيضرب كاسيو من وراء ضربة تصيب فخذه ويتوارى)

كاسيو : كسرت ساقى وسأعيش أعرج، يا للناس، على القاتل على القاتل (يسقط)

(يدخل عطيل من مسافة)

عطيل : هذا صوت كاسيو لقد وفَّى ياجو بوعده.

ردريجو : أواه ما أشقانى!

عطيل : صدقت!

كاسيو : المدد المدد أنيروا هاتوا آسيًا [1]

عطيل : هوه، أى ياجو الأمين الباسل الذى يقدر إهانة صديقه قدرها، إنك لتعلمنى ما يجب علىّ. واعاهرتا إن حبيبك لملقى صريعًا. وإن أجلك ليدنو... محوت من قلبى طلاسم عينيك وسيضرج سريرك الذى شابه الفسق بشوائب من دم فاسق.

كاسيو : يا أهل المدد ألا حرس هنا؟ ألا عابرى سبيل؟ يا للقتيل من القاتلين

(يدخل لودفيكو وغراتيانو من مسافة)

غراتيانو : هذا ولا ريب خطب جلل وصوت المستجير صوت رائع.

كاسيو : المعونة.

لودفيكو : أصغوا.

ردريجو : يا للشقى الغادر.

لودفيكو : هنا اثنان أو ثلاثة يئنون والظلام حالك. من رأيى ألا نتقدم من حيث تخرج هذه الأصوات إلا إذا جاء مدد جديد.

ردريجو : ألا يأتى أحد، إذن يسيل دمى حتى أموت.

لودفيكو : اسمع.

غراتيانو : هذا شخص يعدو عاريًا ومعه نور وأسلحة.

(يعود ياجو ومعه مصباح)

ياجو : من هنا؟ من الذى يقلق السكون بصيحاته واستجاراته.

لودفيكو : لا نعلم.

ياجو : الم تسمعوا صراخًا؟

كاسيو : إلى هنا إلى هنا أغيثونى بالله.

ياجو : ماذا جرى؟

غراتيانو : هذا ضابط عطيل إن لم أكن واهمًا.

لودفيكو : هو بعينه ونعم الفتى الشجاع.

ياجو : من أنت أيها المستصرخ بهذا الصوت المنكر؟

كاسيو : أياجو؟ ضربنى. قتلنى أناس من اللصوص أغثنى.

ياجو : أسفًا أيها الملازم من اللصوص الذين جنوا هذه الجناية؟

---

(١) طبيبًا للجراحات.

كاسيو : أظن أن أحدهم بقربى وحالته لا تمكنه من الفرار.

ياجو : يا للخونة الغدارين (سلفا لى لودفيكو وغراتيانو) وأنتما من تكونان... أقبلا وامنحانا مددًا.

ردريجو : أغيثونى .أنا هنا.

كاسيو : هذا أحد المعتدين على.

ياجو : يا لك من شحاذ قاتل. يا لك من غدار (يطعن ردريجو بخنجره)

ردريجو : أواه أيها الهالك ياجو أيها الكلب الوحشى.

ياجو : يقتلون الناس فى الظلمات. أين أولئك اللصوص السفاكون للدماء؟! ما أسكت هذه المدينة..! قتيل قتيل، ترى من أنتما، أللخير أم للشر؟

لودفيكو : احكم لنا أو علينا بما سترى

ياجو : السنيور لودفيكو

لودفيكو : هو نفسه.

ياجو : ألتمس العفو – هذا كاسيو جرحه بعض المجرمين.

غراتيانو : كاسيو؟

ياجو : كيف حالك يا أخى؟

كاسيو : بترت ساقى شطرين.

ياجو : لا سمح الله. أنيروا لأضمد جرحه بقدة [1] من قميصي.

(تدخل بينكا)

بينكا : ماذا حدث. من كان يستصرخ؟

ياجو : من كان يستصرخ؟

بينكا : واحبيباه كاسيو واعزيزاه كاسيو كاسيو كاسيو.

ياجو : يا لك من عاهرة فاجرة. كاسيو أتخمن من المعتدون عليك؟

كاسيو : لا.

غراتيانو : أنا حزين لرؤيتك هكذا وكنت قد خرجت للبحث عنك.

ياجو : أعرنى ربطة ساق. وضعت. إلينا بكرسى نحمله عليه.

بينكا : ويلاه أغمى عليه، كاسيو كاسيو كاسيو.

ياجو : أيها السيدان أشتبه فى هذه المرأة الغادرة الواقفة هنا أنها شريكة للمجرمين. صبرًا قليلاً أى صديقى كاسيو. هلم بنا. أعيرونى مصباحًا. أتعرفان هذا

---

(١) قطعة.

الوجه أم لا؟ ويلاه صديقى ومواطنى العزيز ردريجو. لا لا. بلى بلى. يقينًا هو... ويلاه ردريجو.

غراتيانو : البندقى.

ياجو : هو نفسه أكنت تعرفه؟

غراتيانو : حق المعرفة .

ياجو : أأنت السنيور غراتيانو. عفوك يا سيدى فإن هذه الحوادث المشئومة هى التى شغلتنى عنك كما ترى.

غراتيانو : مسرور بمشاهدتك.

ياجو : كيف حالك الآن يا كاسيو؟ أسعفونا بكرسى...

غراتيانو : ردريجو

ياجو : هو هو بعينه. واهًا. جاء الكرسى (يجلب كرسى) ليحمله أحد الحاضرين بعناية، وسأذهب لإحضار طبيب القائد (إلى بينكا) أما أنت يا بنت فأبقى على نفسك من التعب (إلى كاسيو) إن الذى يثوى هناك صريعًا كان صديقًا كريمًا على، أى خلاف قام بينكما؟

كاسيو : لم يكن بيننا خلاف وكنت لا أعرفه.

ياجو : (إلى بينكا) علام يمتقع هذا الوجه، رديه (يعنى كاسيو) من الهواء (يحمل ردريجو وكاسيو)(تخلفوا أنتم أيها السادة. ما أشد اصفرارك يا بنت. أترون شرود عينيها. إذا كان الرعب قد استولى عليك فلتعلمن نبأه بعد حين. ارمقوها تفرسوا فيها انظروها... أتلمحون؟ أيها السادة ستظهر الجريمة ولو أصبح الكلام عادة مفقودة .

(تدخل إميليا)

إميليا : واحرباه! ماذا جرى أى زوجى ماذا جرى؟

ياجو : اعتدى على كاسيو فى الظلام. هاجمه ردريجو وآخرون فروا. فأما كاسيو فصرع وأما ردريجو فتجندل.

إميليا : واحربا على كاسيو النبيل الكريم.

ياجو : هذا جنى الفسوق. بحقك يا إميليا إلا ما ذهبت حالاً تسألين كاسيو أين تعشى الليلة (إلى بينكا) أترجفين من هذا السؤال؟

بينكا : تعشى فى منزلى ولا أرتجف البتة.

ياجو : آه تعشى فى منزلك؟! آمرك باتباعى.

إميليا : قبحًا لك يا عاهرة.

بينكا : لست بعاهرة ولكنى امرأة تعيش على هواها وعندى من العفة مثل ما عندك يا شاتمتى.

إميليا : مثل عفتى؟! أقبحًا وكذباً؟!

ياجو : هلم بنا سادتى الأعزاء نأس جراح كاسيو. تعالى أنت يا بنت ستقصين علينا قصة أخرى. إميليا عدوًا إلى القلعة وأخبرى مولاى ومولاتى بما حدث. أتتفضلون بالمسير (منفردًا) هذه الليلة ليلتى فإما العمار وإما الدمار.

المشهد الثانى

غرفة نوم فى القصر

[ديدمونه فى سريرها وإلى ناحية منها مصباح يضىء]

[يدخل عطيل]

عطيل : تلك هى العلة [1] يا نفسى. علة أعتذر إليك عن تسميها أيتها النجوم الطاهرة، ومع هذا لست عازمًا على سفك دمها ولا على تمزيق بشرتها النقية كالثلج الصقيلة كمرمر القبر غير أن موتها متحتم وإلا خانت رجالاً آخرين. لنطفئ المصباح. وبعد... إن أطفأتك يا وزير النور ثم ندمت أعدتك إلى إضاءتك الأولى. ولكن متى أطفئ منك النور يا أبدع مثال من صنع الطبيعة الماهرة، فما أعلم أى ضرب من المذكيات [2] التى يدخرها إله النار يستطيع أن يعيد إليك ذلك الرونق والبهاء. متى استؤصلت وردتك النضيرة أصابها الذبول والجفاف لا محالة ولن أملك أن أرد عليها مقدرتها الحيوية. أريد أن أتنشقها فى منبتها (يقبلها) يا للعَرْف الطيب الذى يكاد يقنع العدل بكسر سيفه. قبلة ثانية ثم ثالثة. البثى هكذا حتى تموتى فأقتلك وأحبك بعدها. قبلة أخرى وهى الأخيرة ما فى سوابق الدهر قبلة أعذب ولا أنكى عقبى من هذه. يجب أن أذرف الدموع، ولكنها دموع جارحة هذه الألم سماوى وإنما يضرب حيث يحب.

(تستيقظ)

ديدمونه : من هنا؟ عطيل.

عطيل : نعم ديدمونه.

ديدمونه : أتريد المجىء إلى السرير يا مولاى؟

عطيل : هل صليت الليلة يا ديدمونه.

ديدمونه : نعم يا سيدى.

---

(١) يريد بالعلة ضعف قوته الرجلية.

(٢) النيران.

عطيل : إذا كنت تتذكرين لك ذنبًا مبقيًا فرجة [1] بينك وبين رحمة الله فاستغفرى حالاً.

ديدمونه : ويلاه يا مولاى ما معنى هذه الكلمات؟

عطيل : استغفرى واختصرى سأتمشى قليلاً ريثما تنتهين. لا أريد قتل نفسك وهى خاطئة، أبى الله. لا أريد قتل نفسك.

ديدمونه : أتذكر القتل؟

عطيل : إياه أذكر.

ديدمونه : إذن لترحمنى السماء.

عطيل : آمين بكل جوارحى.

ديدمونه : أرجو ألا تفعل وإن تكلمت هكذا.

عطيل : هم هم.

ديدمونه : ومع هذا الأمل أنا خائفة منك لأنك لا ترد متى كانت عيناك تدوران هكذا... لم أخاف وذنب لى.
ما أدرى.. ولكنى شاعرة بالخوف.

عطيل : فكرى فى خطاياك.

ديدمونه : لا إثم لى إلا هواك.

عطيل : لهذا ستموتين.

ديدمونه : ليس من المألوف قتل المحب من أجل حبه، ويلاه لم تعض هكذا على شفتك السفلى، أجد بك الهزة التى تهتزها حين سفك الدماء غير أننى أرجو ألا يكون تهديدها موجها إلى.

عطيل : اهدئى وأصغي.

ديدمونه : سأفعل... ماذا تريد؟

عطيل : ذلك المنديل الذى كنت أحبه كثيرًا وأعطيتك إياه أنت أهديته إلى كاسيو!

ديدمونه : لا وحياتى ونفسى... استدع هذا الرجل وليسأل.

عطيل : احذرى يا حبيبتى احذرى من الحنث [2] وأنت على سرير الموت.

ديدمونه : نعم ولكن لا. لا أموت الآن.

عطيل : بلى الآن. وأن تعترفى خير لك لأنك لو أنكرت كل جزء من أجزاء ذنبك

---

(١) مسافة.

(٢) الكذب فى اليمين.

وشفعت كل إنكار بقسم لما بددت قرة العقيدة التى أتألم منها. ستموتين.

ديدمونه : إذن ليرحمنى الله

عطيل : آمين.

ديدمونه : ارحمنى أنت أيضًا. لم أسئ إليك قط فى حياتى ولم أحبب كاسيو بل وددته كما أباح الله الوداد المألوف ولم أهاده لعمرى بشىء ما.

عطيل : لقد رأيت منديلى فى يديه، ويحك من امرأة خائنة إنك لتغيرين قلبى إلى صخر وتحولين إلى مقتل ما كنت أعتقده قربانًا رأيت المنديل بعينى.

ديدمونه : لعله وجده ضائعًا أما أنا فلم أعطه إياه.. أرسل فى طلبه وليعترف بالحق.

عطيل : قد اعترف.

ديدمونه : ماذا تقول يا مولاى؟

عطيل : إنه قضى منك مأربًا

ديدمونه : مأرب سوء.

عطيل : نعم.

ديدمونه : لن يقول ذلك.

عطيل : أجل لأن فمه أقفل وقد صدر أمرى إلى ياجو الوفى بما يجب.

ديدمونه : إن خوفى قد أدرك معنى هذه الكلمات. أمات؟

عطيل : لو أنت له أعمار عداد شعره لافترستها كلها.

ديدمونه : ويلاه قد خانوه وأضاعونى.

عطيل : اهلكى يا فاجرة أتبكينه بمشهد منى.

ديدمونه : بحياتك يا سيدى الفنى ولكن لا تقتلنى.

عطيل : اهلكى يا فاجرة.

ديدمونه : اقتلنى غدًا ودعنى أعيش الليلة.

عطيل : إذا حاولت المقاومة...

ديدمونه : نصف ساعة بلا مزيد.

عطيل : لا تأخير.

ديدمونه : ميقات ما أصلى.

عطيل : لات ساعة صلاة [1] (يخنقها)

إميليا (من الخارج) : مولاى مولاى!

---

(١) مضت ساعة الصلاة.

عطيل : ما هذا الصوت. لم تمت تمامًا إنى لقاس ولكن رحيم، لا ينبغى إطالة عذابك. هكذا هكذا.

إميليا : مولاى الكريم، كلمة واحدة!

عطيل : نعم هى إميليا حالاً. ماتت. لعلها قادمة تخبرنى بموت كاسيو. كانت الضوضاء شديدة. آه امتنع كل حراك. ساكنة كالقبر. أأسمح بدخولها. أيحسن. أظنها تتحرك. لا ما الأصلح. إذا دخلت حاولت بلا ريب مخاطبة امرأتى. امرأتى... أية امرأة. لا امرأة لى... يا للذكرى الفاجعة يا للساعة القاصمة.. يخيل إلى أن بالشمس والقمر محاقًا فظيعًا فى هذه الساعة، وأن كرة الأرض ستنشق بين هذا الاختلاط.

إميليا (من الخارج) : يا سيدى الكريم أستحلفك أن تسمح لى بكلمة.

عطيل : كنت قد نسيت. ادخلى يا إميليا. تمهلى. حالاً لنسدل الأستار. أين أنت؟ (يفتح الباب) ماذا تلتمسين فى مثل هذه الساعة؟

إميليا : يا سيدى الكريم قد ارتكبت جناية منكرة.

عطيل : متى؟ الآن؟

إميليا : الساعة يا سيدى.

عطيل : هذا ناتج من مخالفات القمر لأنه يقرب من الأرض أكثر مما يجب ويدخل الجنون على الناس.

إميليا : كاسيو يا سيدى قتل شابًا بندقيًا يدعى ردريجو.

عطيل : قتل ردريجو وقتل كاسيو!

إميليا : لا... كاسيو لم يقتل.

عطيل : كاسيو لم يقتل إذن فالقتل يتغنى غلطًا والانتقام المطرب يشوش أنغامه.

ديدمونه : آه قتلت خطأ. خطأ قتلت.

إميليا : ويلاه ما هذا الصوت؟

عطيل : أى صوت؟

إميليا : صوت مولاتى. الغياث الغياث. أى سيدتى تكلمى مرة أخرى، أى ديدمونه الطاهرة، أى مولاتى الرقيقة تكلمى.

ديدمونه : أموت بريئة!

إميليا : ومن جنى هذه الجناية؟

ديدمونه : لا أحد.أنا جنيتها أستودعك الله، اذكرينى لدى مولاى الحبيب آه أستودعكم الله. (تموت)

عطيل : ولكن كيف أميتت؟

إميليا : من يعلم، يا للأسف.

عطيل : أسمعت من فمها أننى لم أكن أنا الفاعل؟

إميليا : هذا ما قالته وعلى أن أجيب بالحق.

عطيل : ذهبت إلى جهنم المحرقة بما كانت تكذب، أنا الذى قتلتها.

إميليا : أواه إنها بهذه الميتة لم تزدد إلا طهارة الملك الكريم كما أنك لم تزدد بجنايتك إلا سواد الشيطان الرجيم.

عطيل : كانت عاهرة.

إميليا : اتهمتها كذبًا ووشاية أنت إبليس.

عطيل : كانت غشاشة الظاهر كالماء.

إميليا : وأنت جسور كالنار بقولك إنها غشاشة. لهفى عليها كانت أصدق من أبرار السماء.

عطيل : كاسيو ضاجعها... اسألى زوجك عن ذلك ولولا هذا السبب الحق لما فعلت فعلتى إلا وأنا هالك إلى أدنى قاع جهنم.

إميليا : زوجى؟!

عطيل : بعينه.

إميليا : كان يعمل أنها غير متعففة لوليها؟

عطيل : نعم... وأنها زنت مع كاسيو. على أننى لولا ذنبها هذا لو أبدلت منها بالعالم وقد جمع إلى جوهرة واحدة ما رضيت.

إميليا : زوجى؟!

عطيل : نعم هو أول من أطلعنى على سرها وإنه لرجل صالح يكره الحمأة التى تعلق بالأعمال السيئة.

إميليا : زوجى؟!

عطيل : ما معنى هذه الإعادات... قد قلت لك يا امرأة إنه زوجك.

إميليا : يا مولاى إن الغدر قد قامر الغرام مقامرة خديعة... أزوجى الذى قال إنها فاسقة؟!

عطيل : هو نفسه يا امرأة. زوجك نفسه أفهمت؟ صديقى زوجك ياجو الوفى المخلص.

إميليا : إن كانت هذه وشايته فليت نفسه الشريرة تتعفن كل يوم مرة. إنه كذب من صميم فؤاده وإنها كانت مجنونة حبًا بالبشع المخيف الذى اختارته بعلاً.

عطيل : الله!

إميليا : افعل كل فظيعة بعد الآن فإن نفسك لا تستحق النعيم بأكثر مما كنت تستحقها عروسًا لك.

عطيل : أولى لك السكوت.

إميليا : ليس عندك من الاقتدار على الإيذاء نصف ما عندى من الجلد يا أيها المخدوع يا أيها الأبله. لقد ارتكبت جريمة... لا أخاف سيفك وسأكشف أمرك حتى لو كانت لى عشرون حياة وفقدتها. الغياث الغياث. المدد المدد. المغربى قتل مولاتى. على القاتل على القاتل.

(يدخل منتانو وغراتيانو وياجو)

منتانو : ماذا جرى أيها القائد ؟

إميليا : أنت يا ياجو حضرت . لا جرم انك احكمت سيرك فجعلت الناس يلقون عليك تبعات آثامهم .

غراتيانو : ماذا جرى ؟

إميليا : كذب هذا المجرم إن كنت رجلاً. يقال إنك وشيت عنده فى امرأته وأعلم أنك لم تفعل ولست ذلك الأثيم....

تكلم لأن قلبى فائض بما فيه.

ياجو : قلت له ما كنت أعتقد ولم أزده على ما تحقق بنفسه.

إميليا : ولكن أذكرت له مرة أنها غير مستقيمة.

ياجو : نعم.

إميليا : كذبت على الله وعليه كذبًا قبيحًا مهلكًا للنفس.

أهى اقترفت إثمًا مع كاسيو. أقلت مع كاسيو؟

ياجو : مع كاسيو يا قوادة، اقطعى هذا اللسان.

إميليا : لا اقطعه وسيدتى هنا مقتولة فى سريرها.

الجميع : معاذ الله.

إميليا : ولم يرتكب هذا الجرم إلا بناء على سعاياتك.

عطيل : لا تدهشوا يا سادة هذا هو الحق.

غراتيانو : أمر غريب.

منتانو : عمل فظيع.

إميليا : مكيدة مكيدة مكيدة. شعرت بها من قبل وما صدقت.

يا للمكيدة يا للمكيدة سأموت غمًا.

ياجو : أأنت مجنونة عودى إلى البيت.

إميليا : يا سادتى ائذنونى بالكلام، يجب أن أطيعه أما الآن فلا ولعلى لن أعود أبدًا يا ياجو.

عطيل : (يسقط على السرير) آه آه آه.

إميليا : نعم تقلب واجأر لأنك قتلت أطهر وأرق بريئة رفعت عينيها إلى السماء.

عطيل (ناهضاً) : بل كانت زانية –لم أعرفك قبلاً أيها العم. هنا كريمة أخيك مضطجعة وهاتان هما اليدان اللتان أخمدتا أنفاسها وأن هذا العمل أعمل فظيع شديدة القسوة.

غراتيانو : يا لها من مسكينة. أحمد الله أن أباها سبقها من فرط الحزن الذى مزق نسيج حياته ولو كان الآن حيًا لدفعه هذا المصاب إلى عمل هائل من أعمال اليأس يطرد به ملك الرحمة من جنبه ويستنزل عليه لعنة ربه.

عطيل : هذا مخزن فى الغاية ولكن ياجو يعلم أنها ضاجعت كاسيو ألف مرة وكاسيو اعترف بذلك وقد كافأته على أعماله الغرامية بأن أعطته ما أهديته إليها فى أوائل أيام الحب بيننا دليلاً على شغفى بها وإخلاصى لها، ثم إننى رأيت هديتى فى يده وهى منديل كان أبى قد أهداه إلى والدتى.

إميليا : يا إله السماء!

ياجو : اخرسى.

إميليا : لابد من إظهار الحقيقة أأسكت أيها السادة، لا لا، سأتكلم بطلاقة ريح الشمال السماء والناس والزبانية كلهم كلهم يصيحون بالعار على إذا لم أتكلم.

ياجو : تعقلى وارجعى إلى البيت

إميليا : كلا. (يهجم ياجو عليها ليضربها بخنجره)

غراتيانو : عيب رفع السلاح على امرأة.

إميليا : يا أيها المغربى البليد، المنديل الذى تذكره وجدته أنا بالمصادفة وأعطيته لزوجى لأنه كان كثيرًا ما يلح على بسرقته وكنت أتعجب من شدة اهتمامه بتافهة كهذه.

ياجو : يا للمومس الجانية!

إميليا : أعطته لكاسيو – كلا – واحسرتاه أنا التى وجدته ضائعًا وأعطيته زوجى.

ياجو : تكذبين يا قذرة (يطعنها ويهرب)

إميليا : بالله العظيم لا أكذب يا سادتى (إلى عطيل) ويحك من قاتل أبله ما كان

لأحمق مثلك أن يعايش حوراء كهذه.

عطيل : أليس فى السماء حجارة غير التى تستخدم للصواعق، يا للمجرم الذى يفوق دهاؤه كل تصور.

غراتيانو : هذه المرأة تميد. سقطت. قتلها ولاشك .

إميليا : نعم انقلونى إلى جوار سيدتى.

غراتيانو : لقد هرب.

منتانو : هو مجرم بلا مراء – خذوا هذا السلاح الذى نزعته من المغربى واذهبوا لحراسة الباب الخارجى ولا تدعوه يجتاز أو تقتلوه أما أنا فسألحق بذلك المجرم. إنه لعبد هالك النفس. (يخرج)

إميليا : علام كانت تدل أنشودتك يا سيدة أصغى. أسامعه. سأموت متغنية، الصفصافة الصفصافة الصفصافة ، أيها المغربى كانت طاهرة. كانت تحبك أيها القاسى. ليت نفسى تنجو بمثل ما أقول الحق وأصرح عما فى ضميرى، أموت أموت (تموت)

عطيل : عندى سيف آخر فى هذه الغرفة. سيف إسبانى ماض مجوهر ها هو ذا – يا عمّ يجب أن أخرج .

غراتيانو : إذا حاولت الخروج جازفت فى عمرك، لست مسلحًا وقد تقع على ما تكره.

عطيل : إذن ارجع وتعال كلمنى وإلا هجمت عليك مع كونى أعزل

(يدخل غراتيانو)

غراتيانو : ما تروم؟

عطيل : انظر، معى حسام مما لم يتقلد مثله جندى ولقد شهدت زمنًا كنت فيه بهذه الذراع الصغيرة وهذا السيف الوفى افتتح لى طريقًا بين عقبات تربو عشرين مرة على ما تتصور. ولكن يا للفخر الباطل! من الذى يخالف المقدور عليه. الآن أنا غير ما كنت فلا تخف ولو رأيتنى مسلحًا. هذا محط رحالى ومربط شراعى وغاية سفرى – أتتراجع من الرعب – رعبك لا طائل تحته. وجه خيزرانة إلى صدر عطيل وهو الذى يتراجع. إلى أين يستطيع عطيل أن ذهب الآن – أرينى كيف وجهك فى هذه الساعة؟! يا للمرأة التى ولدت تحت طالع منحوس. إنك لصفراء بلون قميصك فإذا التقينا لدى محكمة الله فرؤيتك على هذه الصفة تكفى لإسقاط روحى من السماء فيلتقطها الزبانية – هامدة يا بنيى، قريرة كطهارة نفسك. ويل للشحاذ اللعين. أيها الشياطين اطردونى ضربًا بالسياط من أمام هذا النور السماوى واقذفوا بى أتقلب

وأتدهور بين العواصف بلا استقرار، أغلونى فى النفط، دحرجونى إلى أعماق بعيدة من النار السائلة. أى ديدمونه لقد مت مت آه آه.

(يدخل لودفيكو وياجو وكاسيو)

لودفيكو : أين ذلك الشقى المختبل؟

عطيل : الذى كان عطيلاً؟ هأنذا...

لودفيكو : أين ذلك الثعبان؟ هاتوا ذلك المجرم..

عطيل : أتفرس فى رجليه! هذه أعجوبة من خرافات الأولين. إذا كنت شيطانًا فلن أستطيع قتلك.

لودفيكو : انزعوا منه سيفه.

ياجو : جرحت يا سيدى ولكن لم أمت.

عطيل : أريد أن تعيش لأن الموت سعادة.

لودفيكو : أى عطيل الذى كنت عنوان الفضائل واستسلمت لمكايد هذا الشحاذ الهالك بأى اسم ستسمى؟

عطيل : ليسمونى كما يشاءون إن أنا إلا قاتل شريف لأننى لم أفعل فعلى عن حقد بل دفاعًا عن الشرف.

لودفيكو : هذا الحقير اللئيم اعترف بجزء من جريمته. أكنت متواطئًا معه على قتل كاسيو؟

عطيل : نعم.

كاسيو : يا قائدى العزيز لم أفعل قط ما يسوءك.

عطيل : أنت صادق وألتمس منك الصفح. أتريد أن تتفضل وتسأل هذا النصف الشيطان لماذا سحر عقلى وجسمى كما فعل؟

ياجو : لا تسألونى شيئًا فقد علمتم ما علمتموه وبعد هذه اللحظة لن أنبس بكلمة.

لودفيكو : حتى ولا للصلاة!

غراتيانو : إن التعذيب سيفض فاك.

عطيل : هذا هو العمل الصالح المفيد.

لودفيكو : أيها السيد يجب أن تعلم من بقية المسألة ما لم تزل تجهله فيما أظن. هذا كتاب وجد فى جيب ردريجو الذى قتل وهذا آخر ومن أحدهما يؤخذ أن مقتل كاسيو كان منوطًا بردريجو.

عطيل : يا للمجرم!!

كاسيو : يا للعمل الشنيع الذى لا يعمله إلا وثنى .

لودفيكو : وهذا كتاب آخر وجد فى جيبه كان فى عزم ردريجو على ما يظهر أن يرسله إلى هذا الأثيم الهالك غير أن ياجو لقيه قبل إرساله وتمكن من تهدئة خاطره.

عطيل : وحيك أيها الشقى المؤذى – كيف وجد بيدك ذلك المنديل الذى كان لامرأتى يا كاسيو ؟!

كاسيو : وجدته فى غرفتى واعترف هو نفسه منذ هنيهة أنه كان ألقاه بيده فيها لقصد ما.

عطيل : يا مجنون يا مجنون يا مجنون.

كاسيو : ويظهر علاوة على ما ظهر من كتاب ردريجو أن ياجو هو الذى كان باعثة على التحرش بى فى ليلة الحرس. ومن هذه الحادثة نجم عزلى. ثم ظهر أيضًا منذ قليل بإقرار من نفس ردريجو الذى تكلم بعد أن ظن ميتًا أن ياجو هو الذى دفعه إلى قتلى وياجو الذى ضربه بخنجره ليجهز عليه.

لودفيكو : يجب عليك ترك هذه الغرفة واللحاق بنا فقد استرددت منك إمارة الجند وحكومة قبرس وقلدها كاسيو مكانك. أما هذا المجرم المتفنن فمهما نجد من ضروب التعذيب لإيلامه أبعد ما يكون أجلاً فهو ما سنعذبه به وأما أنت فتبقى سجينًا إلى أن يعلم أمرك فى البندقية. هلموا اقتادوه

عطيل : رويدكم أقل كلمة أو كلمتين. لقد خدمت البلاد بعض الخدم ويعرفونها فلا أطيل عن هذا القدر فى هذا المعنى. ولكن أرغب إليكم حينما تقصون قصتى فى رسائلكم أن تذكرونى بحقيقتى لا بمزيد ولا بنقصان وألا تدخلوا فيها شيئًا من المكر السيئ فإذا فعلتم ذلك وصفتم حال رجل لم يعشق بتعقل ولكنه كان خالص السريرة متجاوز الحد فى حبه، رجل دافع الغيرة عن نفسه جهده فلما تمكنت منه تمادى فيها إلى النهاية، رجل غلب الأسى عينيه على أنهما لم يكن من شيمتهما البكاء فذرفتا من الدموع أغرر ما تنضحه أشجار جزيرة العرب من صمغها الشافى. هكذا أرجو أن تصفونى وأضيفوا إلى ما تقدم أننى عندما كنت فى حلب وأهان أحد الأعداء رجلاً من البندقية وثبت به وجعلت يدى فى عنقه وضربته.. هكذا..

(يضرب نفسه)

لودفيكو : يا للختام الرائع.

غراتيانو : قد تلاشى كل ما كنا فى تدبيره.

عطيل : (زاحفًا نحو سرير ديدمونه) لقد قبلتك قبل مماتك والآن لم يبق لى إلا أن

أموت فى قبلة.

كاسيو : كنت أخشى هذه النهاية لكننى لم أظن أن معه سيفًا... قضى وكان قلبه كسيرًا.

لودفيكو : أين كلب إسبرطة. يا أقسى من الألم والجوع والبحر. انظر هذه الجثث الطاهرة المتراكمة على هذا السرير. هذا عملك. منظر يَنْفُث ناقع السم فى الأبصار فألقوا عليه غطاء – أى غراتيانو احرس البيت وتسلم تركة المغربى فهى إليك – وأنت أيها السيد الوالى تحكم فى عقاب هذا المجرم الجهنمى بما تشاء. اضرب لذلك أجلاً وعين مكانًا واختر آلات التعذيب ثم عذبه. بمنتهى الشدة وبلا رحمة سأبحر من فورى عائدًا إلى البندقية حاملاً إلى القوم بقلب حزين خبر هذه الحادثة الفاجعة.

*****

(تمت الرواية)

فهرس

الفصل الأول ٩

الفصل الثاني ٢٩

الفصل الثالث ٤٨

الفصل الرابع ٧١

الفصل الخامس ٩٢

رقم الإيداع ٢٠٠٠/١٦٣٧٨
الترقيم الدولى ISBN 977-02-6078-9
١/٢٠٠٠/٩٢
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)